التعصب الديني عند الافرنج

كتبنا في الجزء الماضي نبذة في التعصب الديني عند الافرنج بينا فيها ان مهد الغلو فيه أوربا لا آسيا وقبل ان ينشر الجزء ظهر في الجرائد الافرنجية المصرية ما يؤيد رأينا ويثبته أشاعت هذه الجرائد انه وقع خلاف في لجنة الاحتفال بعيد الدستور العثماني سببه الاختلاف في الدين وان صاحب المنار قال في اللجنة انه لا يقبل ان يكون رئيسها نصرانيا . وطفق محررو تلك الصحف يشنعون على هذا التعصب الاسلامي الشرقي الذي تخيلوه فخالوه فشنعوا عليه كدأبهم وعادتهم وقياسهم على انفسهم

ويقال ان بعض محرري تلك الصحف من السوريين وكأنهم لما تلقوا لغات الافرنج وآدابهم تفرنجوا فأخذوا منهم محضاء التعصب يحركون به ناره كلما سنحت السوانح أوعنت البوارح ، وهاك ماقالته في ذلك جريدة (النوفل) نقلا عن عن ترجمة الاخبار لها

«قلنا في عدد سالف ان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ارتأى انه يجب ان لا يرأس نصراني جمعية الاحتفال بالدستور العثماني ، والشيخ رشيد هذا كان الى اليوم يعد حرا مريدا للدستور عدوا لحكم السلطان عبد الحميد وقد حارب الخليفة السابق بصفته مسلما باذلا جهده في سبيل تقويض حكمه المبني على الظلم والاعتداء والنهب والسلب والفتك بعباد الله وقد كان شديد اللهجة في كتاباته الى حد أنه ألزم أن يفر من تركيا ويلجأ الى القطر المصري

«والآن قد تغيرت الاحوال واعتقل عبد الحميد في سجنه الحالي في سالونيك محجوبا نظره عن الاشراف على ما يجري في البلاد وأصبح تحول بينه و بين الحياة و بينه و بين الطبيعة سيوف الحراس . فقد هذا الظالم الذي طرده العالم من بينهم قوته ولكن أولا هل سقط مع عبد الحميد كل ما كان قائما في أيامه ؟ اننا لنشك في ذلك لانه اذا كان مثل الشيخ رشيد رضا يجعل بين المسلم والنصراني فارقا فماذا يفعل غيره ؟ أفلا يجوز ان نعتقد ان أحرار الاتراك ما كادوا يستولون على كرسي السلطة حتى تناسوا مطالبهم القديمة باقامة العدل وتأليه الحرية

ان الشيخ رشيدا سيندم على ما جاهر به غيران ندمه لا ينفي انه قال ما قال ولقد أصبح الآن يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في اخلاص اخوانهم المسلمين» اه

(المنار) لما اطلع اعضاء لجنة الاحتفال بعيد الدستور على هذه الكتابة كتبت اللجنة الى هذه الجريدة وسائر الجرائد التي ذكرت الخبر المختلق تكذيبا له . ونحن نزيد على هذا التكذيب كلمة نقولها لكاتب تلك النبذة في جريدة النوفل وهي

قلتم إنه يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص المسلمين لهم بعد ان نقلت لهم صحفكم تلك الكلمة عن صاحب المنار دون صحفهم العربية وكان من مقتضى التساهل الذي تدعونه ان لا يصدقوها عنه لما يعلمون بالاختبار الطويل من تساهله وكتابته فى الدعوة الى الوفاق اثنتي عشرة سنة حتى باسم الاسلام وسعيه مع بعض اصدقائه المسلمين في تأليف جمعية سياسية سرية مؤلفة من جميع العناصر العثمانية لأجل جمع كلمتهم وتوحيد مصلحتهم — اوكان ينبغي لهم مع تصديقها ان يحملوها على غرض صحيح غير التعصب كأن يكون مراده — لو صح الخبر — ان جعل الرئيس من كبراء المسلمين كامراء البيت الخديوي مثلا يجعل للجنة من النفوذ والاحترام وقبول الدعوة الى الا كتاب مالا يرجى مثله لو كان الرئيس نصرانيا لانه ليس في نصارى العثمانيين من له مثل هذا النفوذ. هكذا شأن المتساهل يتروى و يتثبت في الخبر الذي يثير الخلاف و ينافي الائتلاف فان ايقن بصدقه التمس له مخرجا صحيحا

فاذا كان النصارى يعذرون على رأيكم بعدم الثقة با خلاص أحد من المسلمين لخبر يحتمل الصدق والكذب والقرائن تدل على كذبه و يحتمل على تقدير صدقه ان يكون قيل لغرض صحيح لا للتعصب أفلا يعذر المسلمون بالا ولى اذا كانوا يرون الرجل من علماء دينهم وسلالة نبيهم والدعاة الى الاصلاح الديني فيهم يقضي السنين الطوال وهو يدعوهم الى التسامح والائتلاف مع النصارى وغيرهم بالقول و يجعل نفسه قدوة في ذلك بالعمل ثم يرميه النصارى بالتعصب و يجعلونه حجة على عدم ثقتهم بأحد من المسلمين ؟ ؟

بلى ولكن نحمد الله تعالى أن كان أهل الشرق من المسلمين والنصارى لم يصلوا الى هذا الحد من التعصب الذي ينفثه فيهم كتاب الافرنج والمتفرنجين منهم ولذلك رأينا الفريقين قد هزءوا بما كتب في تلك الجرائد الافرنجية عن صاحب المنار حتى قبل تكذيب اللجنة له

الجنسيات العثمانية

﴿ واللغتان العربية والتركية ﴾

ان من شؤون مدنية هـذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية فترى الغربيين أئمة هذه المدنية اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أوالجوية أو المائية أخذ في النقص حتى خيف من انقراضه حرموا صيده ان كان مما يؤكل وقتله ان كان مما لا يؤكل وان كان ضارّا كما يحافظون على العاديات والآثار القديمة جميعها ، ونراهم أيضا يرغبون في بقاء نموذج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحيوا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويتنافسون في معرفتها

ماكان لهذه المدنية أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح بانقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقوّمات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتـبر ذلك بالاجناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) تلقه واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية ينقرض بانقراض أفراده كلهم أوجلهم بالموتان والأوبئة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والذل الذي يقلل النسل رويدا رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم حثالة ممزقة في الأرض لا تسمى شعبا ولا تعد قبيلة ،

وهناك ضرب من ضروب انقراض الجنس يتحقق بانحـلال رابطة الجنسية

(١) نستعمل لفظ الجنس والاجنـاس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمي جنس الترك أو الروم مثلا صنفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان للاجناس مراتب عنـد المناطقة منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

وزوالها لا بانقراض الاشخاص وانقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لغته فيمتزج به ويلابسه في تقاليده وعاداته حتى يذوب فيه ويصير من عناصره المكوّنة لذاته كما امتزجت الاجناس السورية في الجنس العربي باللغة في جميع الافراد وبالدين في أكثرهم ونسيت جنسيتهم النسبية وزالت جنسيتهم اللغوية وصاروا كلهم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقي والكمال في الانسانية لا من النقص أو المرض الذي يعرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكلما اتسع نطاق الاجتماع وقل التفرق والانقسام فيه زادت الانسانية كمالاً ولهذا يرى حكماء الاجتماع ان منتهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلهم أمة واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا وطن ولا دين ، و يستحيل ان يتحولوا الى هذا دفعة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض بالتدريج البطيء .
وان الامم الكبرى التي تجتهد بنشر لغاتها وآدابها في ارجاء العالم تطمع كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلهم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة وبقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من السبق الى الاستفادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم أطمع الامم في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوهم في أثرتهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاته وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث ليتسع لتفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيداً ومقدمة لا مقصداً . وعندي ان الاسلام يرمي الى هذه الجامعة العامة (١)

ومن فروع هذا المبحث اني لا مندوحة عن ذكرها في باب التمهيد ان هذا النوع الكمالي من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شعب من الشعوب بأن يكون هو المدغم في غيره لاجل تحقيقه فضلا عن ان يرضى بذلك ايثارا لمقومات جنس آخر على مقومات جنسيته، وسبب ذلك ما ذكرنا آنفا من حرص الانسان على خصائصه ومميزاته وان كانت ضارة كبعض التقاليد والعادات وانما لها طريقان

(١) سنبين هذا المعنى في مقدمة التفسير ان شاء الله تعالى

أحدهما التغلب والقهر وطبيعة المدنية الحاضرة تأباهما كما ذكرناه في فاتحة الكلام، وثانيهما التحالف والاتحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثل ما عنده بمقتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان تغلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطمع فيه بعض الغربيين في مستعمراتهم كفرنسا في الجزائر، والشعوب العثمانية احوج اليه ولن يكونوا امة واحدة بدونه

ينتج ما تقدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لا تستطيع في هذا العصر ان تحل رابطة جنس من الاجناس التي تتكون منها أمتها بالقهر والإكراه، ولا بالخلابة والاقناع، بل سبيلها اللاحب أن تؤلف بينها في المنافع والمرافق، والمصالح والوظائف، وتوحدها بجنسية الشريعة والقانون، دون جنسية اللغة والدين، حتى يتمازج منها ما هو مستعد للمزج، وينبذ مزاج وحدتها الجديدة من لا يقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المعتدل ما عساه يدخل فيه من الاجسام الغريبة

أعني بهذا النبذ والنبذ يفهم ما تقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لا ان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس . ذلك ان الجنس الذي لا تقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) تجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه يتسلل اكثر أفراده في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي ترتبطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات اللغوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى تغلب الامثل فسيكون على أشده بين العربية والتركية لانهما اللغتان الحيتان للشعبين الكبيرين في الأمة والاولى منهما لغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطنة الرسمية وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا

ان الارمن شعب صغير وعهده قريب بتدوين لغته وجعلها لغة علمية ولا يطمع أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاحمة لها فيهم أنفسهم فهي املك لألسنتهم من لغتهم

وأما الالبان والاكراد فهم حتى اليوم لم يدونوا لغتيهم ويجعلوها لغة علم ولا يطمعون في نشرها وتحويل أحد من الشعوب الاخرى اليها والتركية مزاحمة لها في الشعبين وكذا العربية لاسيما في بعض بلاد الاكراد كالسليمانية وغيرها . ثم ان الدين يجذبهم الى هذه والادارة تجذبهم الى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشعبين بلغته ومحاولته إحياءها تقليدا لما ذكرناه من طبيعة المدنية الغربية لهذا العهد لا يفيده الا أثقالا تعوقه عن تحصيل العلوم ومجاراة غيره بالترقي فيها لأنه ان ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وان ترك التركية قصر في عثمانيته ومايترتب عليها من الفوائد فلم يبق الا انه يضيع بعض زمن التحصيل في دراسة لغته القومية ولا أرى العقلاء منهم يطمعون في تأسيس دولة لأنهم يعلمون انه لافرق في ذلك بين شعبيهما وبين الشعب الارمني من حيث انه طمع في غير مطمع يضر الطامع ويضر الدولة فيقوى عليهما الطامعون فيهما، ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على ان محاولة تمزيق السلطة محرم في الاسلام فالشعب الاسلامي الذي يفارق الجماعة يجني على دينه وعلى دنياه ـ فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك الغالين في عصبية الجنس انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى التقاضي والمرافعة في المحاكم الى ان تحول العرب فمن دونهم من العثمانيين الى الجنسية التركية . ويظنون ان هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور، وما ظنهم هذا الا اثم وغرور

ويرى بعض العرب بنزعة دينية وبعضهم بنزعة جنسية أنه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لانها لغة الشعب الأكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، ويغفلون عما بيناه في القسم التمهيدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسيما في شعب يرى لنفسه حق السيادة فان تنازل

عنها بالدستور فانه يصعب عليه أن يترك من مميزاته ماحفظ لنفسه الحق في استبقائه بنص القانون الاساسي وهي جعل لغته هي اللغة الرسمية للدولة

ان غوائل اختلاف اللغة في الدولة لاتنكر ،وان فوائد توحيدها ووحدة الامة بها لاتجهل ،وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة لهو أوضح وأظهر،فانها هي التي تتوفر الدواعي على تعميمها لان الناطقين بها أكثر من الناطقين بغيرها، وإرجاع القليل الى الكثير أسهل من عكسه ـ ولأن للترك والكرد والالبان باعثا نفسيا يبعثهم على تعلمها وهو الحاجة الى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم) وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب أئمتهم في التفسير والحديث والفقه وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجهل ان يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لماسنبينه في فرصة أخرى ـ ولأن جعلها اللغة الرسمية هوالذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركهم فيها غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمهم لها في مدارسهم خاصة تأثير في اضعاف الوحدة ـ ولانها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون ـ ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين ولانه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها المسلمون (كالصين وجاوه والهند) من غير نفقة توازي عشر معشار ماتنفقه الامم الغربية لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجارتها في الشرق ـ ولأن الدولة تأمن بذلك من قيام دولة عربية تدعي الخلافة وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض دول أوربا ـ ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام العالية وهو محو العصبيات الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المرجحات لا تعزب عن علم اذكياء المفكرين من الترك ولو كان أمر الأقوام والشعوب مما يتبع فيه البرهان اذا ظهر لكان حل هذه المسألة من أهون الأمور ولكن الاقوام والجماعات تتبع الشعور والوجدان دون العقل والبرهان بل يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطيق سماع الدليل فلا

مطمع اذًا في رضاء الشعب التركي بجعل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كلها،ما كان في ذلك من الفوائد وأمن الغوائل لا سيا في هذا العصر الذي اشتدت فيه العصبيات الجنسية في أوربا من عهد نابليون الى اليوم وسرت عدواها الى البلاد المجاورة لها

إذا كنا لا نجد سبيلا الى توحيد اللغة لاجتناء فوائده فكيف السبيل الى اتقاء غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين، وما يتبعه من تحريك عصبية الجنسين ، الذي هو أشد الاخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تعزيزها وإعلاء شأنها والتأليف بين اجناسها وعناصرها جهد المستطاع ؟

يقول أ كثر الباحثين المستقلين من الاجانب والعثمانيين ان لحل هذا المشكل طريقا معبَّدا ومثالا متبعا لا يحتاج معه الى النظر والاستدلال وهو ماعليه سلطنة النمسا فينبغي أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعبي النمسا والمجر وان يكون سائر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية،

أراني بهذا قد وصلت الى بحث لم أكن أرمي اليه، وطرقت بابا لا غرض لي الآن بالدخول فيه ، باب البحث في المسألة التي يعبرون عنها بالمركزية واللامركزية التي هي موضوع الخلاف بين الحزبين السياسيين الطبيعيين فينا وهما حزب الاتحاديين وحزب الاحرار فلندع تنازعهما للزمان يبرم فيه حكمه ولنعد الى موضوع اللغتين فنختم الكلام فيه برأيين احدهما ما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولا ندري ايرضيهم أم لا

﴿ الرأي الأول ﴾ هو ان يكون تعليم كل من الشعبين في المدارس الابتدائية الرسمية بلغته وان يكون تعلم اللغتين الزاميا في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وان يكون تعليم العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وان تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتهما بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لاجل مخاطبة العاصمة وتلقي الخطابات منها بالتركية . وأما سائر الاجناس فيعلمون العلوم بالتركية لان أكثرهم يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فانه يكون تابعا لاهل ولايته . فان لم يتيسر تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول لمجلس الامة فالرجاء فيما بعده قوي اذا

كان الترك كما نظن يحبون الوفاق . وقد بينا من قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لعبيدالله افندي مبعوث أزمير أودعه في مقالات له في التعليم نشرها في جريدة « تصوير افكار » وترجمته بعض صحف بيروت ومصر وهذه خلاصته نقلها عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية قال:

أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لساناً علمياً لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القرى ودار السلام تسعى في انهاض علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضمحل منذ انقرضت السلطنة العربية

و بذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الاعمى التي لا يزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة لتقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم باعباء واجباتها . ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثر سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية ولتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارنؤوط والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو أربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس ما أراه من لزوم تنبيه الاذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ التدابير التي سردتها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه تقطع ألسنة الذين أصبح ديدنهم في هذه الايام الضرب على نغمات الخلافة

و إن منع دخول المؤيد وغيره من الاوراق المضرة الى الولايات العربية لا فائدة له بل ربما زاد انتباه الناس الى مطالعته

---

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية فقط تمكن اشاعة العلم ثم وان من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضا من أهلها. وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يعد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم العلم بها من أقرب طريق لا يكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاؤها من العرب وموظفون بصورة رسمية

ومتى تم ذلك نبغ بتلك الاقطار في القريب العاجل فحول العلم وارهاط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان . فلا يمضي الزمن اليسير حتى تنتقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تندم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والقائدة لهذه الحركة

وفضلا عن ذلك فان دولة كالخلافة الاسلامية وسلطنة كالسلطنة العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لا تزال تستنير بأنوار علمهم وفضلهم لا يمكنها الاكتفاء بالقسطنطينية وحدها مركزا علميا لهذا الملك الطويل العريض ؛ فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين و بغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلامية ودمشق عاصمة الخلافة الاموية وأكبر مدن السوريين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعاتها وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمة في هذه السلطنة وعندئذ يخلف الائمة البصريين والكوفيين القدماء ببضع سنين أئمة واساتذة عراقيون وسوريون وحجازيون يجعلون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا مالامتد لسان الى الخلافة يسلقها العلم اه بعبارة الاتحاد

(المنار) كنا نتمنى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عامة . وانا نقتبس بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

﴿ العربية والتركية ﴾

أصيبت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهاويل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية فخمدت تحت لوائها

الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تعن بها ولا بغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، وبعيد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من المماليك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وانشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشرقي الفرنسيس النبهاء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوربية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وبأنوارها يستضيئون وذلك لغناها العظيم وتاريخها المجيد القديم ،

بقي الامل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ونجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في فتور ، وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمض على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسوي ، والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح العلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضعف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد اعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريدان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليجيء منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم نشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعليم العلوم بالتركية للذكور والأناث وللصغار والكبار وللعرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤد حتى ان المبادئ البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أتراك باللغة التركية ، فدرك بعض الباحثين في

(١) المنار : لعله سقط من هنا كلمة « فيها »

أحوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تتريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصا بعد ان رأينا أصغر الشعوب الأوربية تحافظ على لغتها الاصلية محافظتها على اعراضها وأموالها وأرواحها ،

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء العاقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمرة جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيهات ان يأتي منه عضو يفيد أمتــه وبلاده ، واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدها الدستوري أظلم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرفق بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به يعد كبيرا ،

و بعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط للغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع العقاب في سبيلها مباشرة ولكن الغلطة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يغفرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الاقصى والأدنى ودولة الجراكسة في مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسيـة ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغـيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعـمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراد والاتراك يتخلون عن لغاتهم مختارين ولا يستعملون في الرسميات غـير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فجروا على غير سـنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وا كتفوا بلغة ملفقة بدوية ما برحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها وهيهات ن تكون كما يحبون ،

ولما جاء السلطان سـليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة يحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة الدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف العقول من أهل دولته وأرادوه على العدول عن رأيه مخافة ان تندثر لغتهم بل تخلصا من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت دون آل عثمان و بسط أيديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم رابطة بين المسلمين ،

ولقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين و بدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأتى لتركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في أوربا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانها أصل لغات أوربا وان كانتا بادتا أو كادتا ، ولكن مدارس أوربا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم نعهد من مدارس الحكومة العثمانية كاتبا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الارض بأمجاد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من أصل تركي على حين نبغ و ينبغ من الفرس والاكراد وغيرهم أناس يؤلفون بالعربية فتحسبهم عربا خلصا ، وانك لتقرأ العجمة في كلام ابن كمال باشا وكاتب جلبي وطاشكوبريلي وغيرهم من الاتراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين ،الا تقرأه في كلام الراغب الاصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشأهم الفارسي كانوا أئمة الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناؤنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون ان يجيئوا أتراكا و يتقنون التركية كأرقى أبنائها و بذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من أبناء سوريه والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلا عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية و بعض الالفاظ التركية بيناهم يكلمونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن أكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

بعربية تكاد تكون أقرب الى الأفرنجية لما خالطها من الالفاظ الافرنسية والاسبانيولية والطليانية ،

وقد رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعيات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان تجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لايقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولغتهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية ، والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية ،

تقرير (١)

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

﴿ في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩ ﴾

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضرتلري

قبل كل شيء أقدم الى سعادتكم أكمل الشكر والامتنان على ان جعلتموني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دققت البحث واختبرت كل شيء في الامتحان بنفسي واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدّد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعليم وحاله في مدرسة من أرقى المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تعليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشهير العضو في المحكمة الشرعية العليا ، في مسألة (ج)فعسى ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما نحب له ونرضى

لانه قد زاحمه قبله امتحان الشهادة الثانوية وشاركه في زمنه امتحان مدرسة الحقوق الخديوية ونشأ عن ذلك تعطيل في العمل لأن من انتقتهم النظارة للامتحان فيها كان أكثرهم مشتغلا بامتحان الشهادة وتلاوة أوراقه واضطررنا لتأجيل الامتحان في التربية العملية عن وقته المعين في الجدول وهو أول مايو سنة ١٩٠٩ إلى ما بعد ١٦ منه واجهد الممتحنون أنفسهم في أول النهار و بعد الظهر حتى أتموا عملهم بمشقة عظيمة في أوقات هذا الحر الشديد

فلهذا ولقلة العمال الذين يوثق بعملهم أرى ان يجعل موعد امتحان هذه المدرسة في الاعوام المقبلة من أول مايو كما وقع ذلك في بعض السنين

(ب) لاحظت ان كون الامتحان بنمر سرية قد أوجب زيادة العمل على العمال واستدعى إيجاد عمال في حين الاحتياج الى عملهم في موضع آخر لتزاحم الامتحانات في وقت واحد ولو كانت الفائدة من جعله سريا توازي هذه الاتعاب وتلك المضايقة في إيجاد العمال لهان الخطب ولكني وزنت النفع والضر في ذلك فوجدت الثاني أكثر بكثير وغاية ما يقال في النفع ان كون الامتحان بالنمر السرية يجعل النظارة في اطمئنان من عدم وجود الغرض فيه إذ يقرأ الممتحن ورقة لا يعرف كاتبها فيقدر لها درجتها بالضبط وهذا النفع وان كان يكون حقيقيا في بعض الأوقات ليس بمطرد لانه ليس كل ممتحن يعمل فيه الغرض وفضلا عن ذلك فقد يوجد شيء من التساهل مع الامتحان بالنمر السرية يقوم مقام الغرض أو يفوقه لأن الممتحن كلما قرأ ورقة ووجدها غير صالحة سأل عن النمرة التي يمكن ان يمر بها الطالب ولا يكون ساقطا فيعطيها للورقة وهو جازم بانه لا يستحقها لأجل ان ينجو الطالب من السقوط وذلك استعمالا للشفقة واذا أسأنا الظن قلنا ان الممتحن تحت نظره أشخاص يجب ان يمروا فيخاف ان يكون صاحب الورقة الساقطة منهم فيمرّ الكل حتى يمر صاحبه بسلام وهذا أكبر في الضرر من استعمال الغرض لشخص مخصوص بالرجاء المعتاد في هذه البلاد وبين أوراق الامتحان في كل علم أوراق منحطة جداً وضع لها الممتحنون الدرجات التي تقتضي مرور كاتبها

فقط كنمرة (عشرين) فما نمرته الحقيقة (٤٠) و (٢٥) فما نمرته (٥٠) و (١٥) فما نمرته (٣٠) وهكذا ولسعادتكم ان تأخذوا نموذجا من تلك الأوراق المكتوب عليها مثل هذه النمر فتجدوها على ما وصفناه وأيضا فان الامتحان بالنمر السرية في هذه المدرسة وهي من المدارس المخصوصة العالية تفرقة بينها وبين أختها مدرسة الحقوق الخديوية ولا فرق بينهما في الواقع ونفس الأمر فلم يكون الامتحان في الحقوق جهريا وفي المعلمين سريا على اننا لم نسمع بأن طالبا في الحقوق مع الامتحان الجهري نجح للغرض ولا بأن طالبا تأخر بقصد الإضرار به

ولهذا فاني أرى ان يكون الامتحان في هذه المدرسة أيضا جهريا فيقل التعب وتزول تلك الاضرار ويسهل وجود العمال ويعرفون انهم موضع الثقة فيعملون على ما يزيدها وانهم ليسوا موضعا للريبة فيعتادون النزاهة والتخلي عن الغرض وهذا من حسن التربية واعلاء النفوس بمكان عظيم

(ج) لاحظت اثناء تأدية الامتحان الشفهي في علوم النحو والصرف والطبيعيات وتقويم البلدان ما لا يكاد يصدق وذلك ان الشخص الواحد يكون شخصين متبايني الصفات والادراك في وقتين مختلفين امام ممتحنين في علمين وهذا وان كان وجد في قليل من الاشخاص ولكنه مما يستدعي النظر والالتفات والبحث عن الاسباب . رأيت بنفسي أحد الطلبة يؤدي الامتحان الشفهي امام الشيخ حمزه فتح الله فاذا سأله عن تطبيق قاعدة أو اعراب جملة أو تعيين محل اسم من الاعراب أو عن أصل الكلمة وما صارت اليه بعد القلب أو الابدال بحث عن الجواب في جوانب السماوات وشاسع الآفاق، فاذا نبه الى ان الجواب قريب منه اعتراه ذهول حتى صار لايدرك البديهي من القول، ورأيته بعينه وهو امام علي بك بهجت يؤدي الامتحان في تقويم البلدان فوجدته رجلاً ثابت الجنان منطلق اللسان يعبر عما يريد بقوة ولا يعتريه انزعاج رأيت هذا في أكثر من واحد ومن اثنين واني أحقق بعد ان أطلت الأخذ والرد والبحث ان هـذا الداء كان متأصلا في بعض أولئك الاشخاص من أصل التعليم لأن قاعدته في الأزهر كثرة الاحتمالات في العبارة الواحدة واستعمال المعلم للتشكيك والاكثار من الاعتراضات

اللفظية وقد تعودوا ان لا يعرضوا فكرهم على أحد سواهم فاذا سئل هذا المتعلم على هذه الطريقة حار في أمره فلا يدري أي الاحتمالات يذكر وأيها يكون موافقا لذوق السائل فيرتبك كما قدمناه واما العلوم الأخرى فانها خلو من هذه العلة الثقيلة علة الاحتمالات والتشكيك فاذا سئل فيها قال ما يعلمه منها جازما بما يقول والجزم في العلم هو قاعدة كل خير وهو الأساس المتين في نجاح التعليم

ولا يقال ان هذا الفرق بين هذا الطالب وهو امام الشيخ حمزة و بينه وهو امام بهجت بك جاء من عوارض أخرى مثل وجود من يهابه زائدا على من يمتحنه فانني كنت موجودا مع هذا الطالب امام الاثنين واذا قيل ان الفرق جاء من كيفية توجيه الأسئلة فانني كنت أبسط السؤال له وهو عند الشيخ حمزة بطريقة هي غاية في السهولة والوضوح وقد لاحظ حضرة الشيخ حمزة فتح الله هذا المعنى من بعض الطلبة فأشار اليه في تقريره المقدم إليّ منه حيث قال « لذلك لا أجد بدا من سرد نموذج مما نطق به من كثير منهم بنانه و بيانه و يراعه ولسانه مما لا تعقل نسبته لأمثالهم الا لفرط ذهول استحكم فاما في الشفوي فكما سمعتم من البعض حتى عذرتموه بحضر الهيبة في معترك الامتحان ولذا أقتصر على ما خطه بنانهم في الأوراق التي صححتها » اه

ظهر مما تقدم ان العيب في هذا الموضوع انما هو في كيفية التعليم وفي بعض الكتب لا في شخص المتعلم . والنظارة مسؤولة عن اصلاح هذا العيب والطريقة التي اراها نافعة في هذا الباب هي انتقاء الطلاب حين الدخول انتقاء كاملا في نباهتهم ومعلوماتهم وسيرتهم وليس من الضروري ان تتوسع في العدد فبدلا عن ان نأخذ ستين منهم أربعون ناقصون نأخذ عشرين كاملين اذا تخرجوا تخرجوا رجالا ذوي قدرة على العمل وقدوة للمتعلمين في كمال الاخلاق . أما اذا تخرج من الستين خمسون وكان منهم ثلاثون ناقصين فقد أدخلنا في عداد المعلمين اشخاصا غير صالحين وكانت النتيجة مساواة الصالح بالطالح والخلط بين الضار والنافع وعندي ان يقال إننا لا نخرج كل سنة الا عشرين كاملين خير من ان يقال اننا نخرج كل سنة طائفة كبيرة لا يمكنها في مجموعها القيام بوظيفتها حق القيام على انه قد مضى وقت الاحتياج الى

الإكثار من المعلمين بقطع النظر عن الكامل والناقص وجاء الوقت الذي يجب فيه التقليل من المعلمين حتى نصادف الخيرين منهم

ويمكن ان تجمع النظارة لجنة لتقرر مقدار الحاجة الى المعلمين في كل سنة وتقرر بناء على ذلك انتقاء الطلبة وشروط الدخول وارى ان يكون في اول ما تنظر اليه اللجنة ان الطالب لا يكون قد امضى زمنا طويلا في الازهر بين تلك الاحتمالات والشكوك (١) ولا بدحينئذ اي اذا تقررت هذه القاعدة ان تطيل النظارة زمن وجودهم في المدرسة حتى يتغير وضعهم بالمرة ويسبكوا سبكا جديدا فيكون المتخرج منهم مفكرا مستنتجاً تربت فيه ملكة القيام بالنفس فيمكنه العمل بما تعلم وان يفيد المتعلمين ويبث فيهم روح العلم الحقيقي وروح التربية الحقة فان الذي ينقص المعلمين اليوم هو التفكر والاستنتاج فاذا اخذنا الطلبة من الآن فصاعدا ممن لم يمضوا مدة طويلة في الازهر وعوضنا عليهم تلك المدة في المدرسة وصلنا الى نتيجة حسنة قطعا وتخرج من هذه المدرسة العدد المجيد لعمله وان كان قليلا فهو خير من عدد كبير جله ممن لا يجيد العمل ولا يحسن التعليم

على ذكر هذا الذي تقدم اقول اني امتحنت طلاب السنة الرابعة من مدرسة الحقوق كما امتحنت مدرسة المعلمين فاذا مدرسة الحقوق في موضوعها متقدمة وفي طلابها جرأة على القول أمام اي ممتحن وبالطبع لم تكن لهم هذه الجراءة الا من اصل التعليم فلو اصلح التعليم في مدرسة المعلمين لوجد من متخرجيها من يفوق متخرجي الحقوق لأن في مدرسة المعلمين تتوفر العلوم العربية والمنطقية وكلها مما يوجب القوة في الحجة والطلاقة في اللسان والتوسع في البيان

(د) لاحظت ان بعض العلوم كآداب اللغة والتاريخ تتفق فيها كتابات الطلبة

(١) المنار : لما عرفت الشيخ عبد العزيز جاويش للاستاذ الامام سألني عن درجة تحصيله في أوربا ودار العلوم . قلت اني لم اقف على ذلك لقرب العهد بحضوره من أوربا ولم أعاشره قبلها كثيرا . فقال سله عن مدة اقامته في الأزهر فان كان أقام زمنا طويلا فيه فما أرى انه حصل شيئاً ترجى فائدته لأن طول الاقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به . وان كانت إقامته فيه قصيرة فهو عندي محل رجاء

عند الامتحان اتفاقا يكاد يكون تاما من كثير من الوجوه فعلمت من ذلك انهم لا يعتمدون على قوة الكتابة والإنشاء ولو كانوا كذلك لاختلفت العبارات فان المنشئ يمكنه ان يعبر عما علم في موضوع واحد بعبارات مختلفة الأساليب وان كانت متفقة الموضوع وهذا العيب يكاد يكون عاما في المدارس التي امتحنتها وان اختلف التلامذة في ذلك بعض الاختلاف ولاحظت أيضا في أمر التطبيق ما يصح ان ألفت النظارة اليه ويقول حضرات الممتحنين كلهم في الاعتذار عن بعض النقص الذي يوجد فيه ان علته انما هي تضييق الزمن وهذه تقاريرهم مجمعة على كثرة العلوم وقلة الزمان و بعضها يشير الى قلة الزمن المحدد للعلم بالنظر لموضوعه وفائدته كعلوم العربية وعلوم الشريعة التي هي المقصود الاصلي من تأسيس هذه المدرسة . وكأنهم يرمون الى النظر في أمر البروجرام ولزوم تعديله على مقتضى وضع المدرسة وما يناسبها من العلوم

اني بما قدمته في فقرة (ج) من الكلام في أمر الانتقاء للدخول وشروطه والاخذ ممن قل زمنهم في الازهر ونحو يضهم زمنا في المدرسة أستغني عن الذهاب مع حضرات الاساتذة الممتحنين الى النظر في أمر البروجرام فانه بعد ان يتقرر الامر على ما تقدم يستغنى موقتا عن التعديل فيه ومع ذلك فلو رأت النظارة ان تنيط اللجنة التي يؤلف للغرض المتقدم بالنظر أيضا في تحديد العلوم على الوجه المناسب لموضوع المدرسة ومدة الدراسة وعدد الدروس في كل علم وما يبقى من العلوم وما يحذف لكان ذلك خيرا ومفيدا للعلم والتعليم

يدخل في باب التطبيق وجودته صناعة الإنشاء وحيث اني كنت ممتحنا فيه هذا العام أيضا فاني أقدم هذه الملاحظة بمثابة تقرير مني على انفراده في امتحان الانشاء

رأيت السنة كلها وعدد طلابها (٥٦) نفسا لم يحز ولا واحد منهم الدرجة العليا ولم ينل القريب منها إلا عدد قليل اما الباقون فمنهم كثير أخذ نصف الدرجات المقررة وهذا فيه مافيه على ما قلناه ومنهم من زاد عليه زيادات تتردد بين (٢٦) و (٣٩) وقد قال لي الشيخ أحمد السكندري مدرس هذا الفن (وهو الذي كان يقرأ لي ما كتبوه) ان هذه الفرقة كما كانت عندي في طول السنة متوسطة لا عالية وقوله

هذا هو قول العارف المارس ولا يؤخذ عليه انه هو المدرس لهذا الفن وربما قاله حتى لا يلحقه تقصهم لأن الرجل معروف بالعمل وبالصدق في الاقوال واني موافق على قوله هذا وأقرر ان هذه السنة في الانشاء أقل من سابقاتها ولايمكنني ان انسب ضعفهم الى صعوبة موضوع الإنشاء فاني سألتهم سؤالا يكون كل منهم معه حرا في اختيار الموضوع الذي يجيد الكتابة فيه وكان عندهم من الوقت ساعتان ومضمون السؤال ان كل طالب يختار فضيلة من الفضائل ويحث على العمل بها قوما مخصوصين فكان مقتضى هذه الحرية ان تجيء كتابة كل منهم في غاية الاجادة ولا يكون هذا الا إذا كانوا يحسنون صناعة الانشاء

(ه) يستخلص مما تقدم ان هذه المدرسة يجب ان يكون لها مقام مخصوص بين المدارس العالية لان الغرض منها كما هو ظاهر من نص المادة الأولى من قانونها هو تخريج معلمين مصريين للغة العربية وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية وهذا الغرض هو أعظم غرض تتوجه اليه فكرة من يريد اصلاح التعليم ولا فائدة أكبر من إيجاد هؤلاء المعلمين ايجادا حقيقيا وهو لا يكون الا باصلاح النظام الذي يتخرج بمقتضاه أولئك المعلمون فاننا في غاية الاحتياج الى كونهم من النوابغ لا ان يكونوا كثيرين فيجب انتقاء الطلاب وانتقاء الاساتذة لهم وإيجاد المناسبة بين علومها وزمانها وهذه المدرسة لا تقل في الاهمية عن أختها شقيقتها مدرسة القضاء الشرعي وزمان الدراسة في هذه الاخيرة هو تسع سنوات فليس من ضرر ان تجعل مدة الدراسة في مدرسة المعلمين ست سنوات وبهذا ننصف إحدى الشقيقتين نوعا ان لم نتمكن من انصافها بالتمام

(و) هذه الملاحظات لا تنافي اننا نذكر لهذه المدرسة حسناتها السابقة من يوم نشأتها الى الآن وانها أفادت البلاد والتعليم واللغة العربية بما لا يحصى من الفوائد فاني شغوف بتقدم هذه المدرسة أكثر مما هي عليه وحصولها على درجة تجعلها في أعين القائمين بأمر التعليم في المقام الاول من الاعتبار ولا تمنعنا هذه الملاحظات ايضا من ان نذكر المدرسة في هذه السنة بالنتيجة الحسنة التي حصلت عليها في هذا الامتحان الأخير وهي انه لم يسقط من السنة الرابعة سوى تسعة من (٥٦)

فيكون النجاح باعتبار (٨٤) في المائة تقريبا وان سبب سقوطهم كان علم الرياضة فقط في سبعة منهم وعلم الرياضة مع نقص في بعض متوسطات المجموعات في الاثنين وان الساقطين في السنة الثالثة خمسة فقط والساقطين في الثانية ستة فقط ولم يسقط في السنة الاولى ولا واحد ولم يسقط في التحضيرية سوى واحد وقد ذكر حضرات الممتحنين في تقاريرهم شهادات طيبة وذكروا معاذير فيما وجدوا من بعض التقصير فنسبوا ما يوجد منه لضيق الزمن في الغالب وللامتحان في شيء قد تركوه زمناطويلا وهذه ملخصات تقارير حضراتهم أذكرها بغاية الإيجاز مع إلفات النظر الى ماجاء في كل منها من التفصيل ولي أمل شديد في ان سعادة ناظر المعارف الذي عود المصلحة العمومية عنايته بها يعير هذه الملاحظات جانبا من التفاته فتتجه المدرسة الى الكمال الأكمل المطلوب لها مني ومن أمثالي وفقه الله لخير البلاد والعباد

وهذه هي نموذجات التقارير

(تقرير حضرة الاستاذ الشيخ حمزه فتح الله ممتحن النحو والصرف في السنة الرابعة تحريريا وشفهيا وتحريريا في علم المعاني وفي جميع علوم البلاغة للثانية والعروض والقافية للسنتين الثالثة والاولى) قال — « انهم احسنوا فيما عدا النحو والصرف كل الاحسان ولا اتهم منهم الا وضع الهمزات على ألفات الوصل — وقال — انهم أجادوا في استحضار القواعد وجمع شتيتها والتعبير عنها بعبارات سلسة والتمثيل بدون تقيد بما في الكتب واستحضار الشواهد ثم سرد نموذجا من هفواتهم في علم النحو والصرف ورسم الحروف واستنتج ان حالة الجميع حسنة وقال انه يعوزهم في علمي النحو والصرف زيادة العناية بالتمرين العملي واثنى عليهم جميعا فيما يتعلق بعلوم البلاغةوالعروض

(تقرير حضرة الشيخ النواميسي ممتحن السنة الرابعة في المنطق والسنة الثالثة في الفقه والاصول) قال : النتيجة فيهذا العام حسنة وان كان يوجد تقصير من بعضهم في الاجابة خصوصا في علم الاصول فربما كان ذلك ناشئا من كثرة المواد التي تظهر انها عبء — الى آخر ماقاله ولفت النظر اليه

(تقرير ذهني باشا ممتحن الرياضة والهيئة مع جناب المستر تويدي) قال: امتحنت

التلامذة في مسائل موافقة للبروجرام ، وبين الناجحين في كل واحـد من الحساب والجبر والهندسة على حدته والناجحين في الكل على العموم ومدح الطلبة على سلوكهم في الامتحان والنتيجة هي ما قلنا سابقا من ان الساقطين في الرياضة تسعة

(تقرير حضرة الشيخ الطوخي في التوحيد والتفسير والحديث) قال: أتجاسر على الاستلفات الى كثرة المقررات في العلوم بجداول التدريس وصعوبة بعض الكتب المقررة لتدريس بعض علوم المجموعة الشرعية وعدم كفاية الزمن المحدود لتدريسها. و يظهر من بين السطور في تقريره ان الطلبة كانوا يعجزون عن النجاح لولا مجهوداتهم فأوجه نظر سعادتكم الى ما يريده الشيخ الطوخي

(تقارير التربية العلمية والعملية) تشير الى ان الحال محتاج الى تحسين وطلب الشيخ شريف زيادة علم النفس في المدرسة حتى يكمل نظام التربية العملي وانالا اوافقه عليه لاعتبارات كثيرة اهمها قلة عدد الراسخين في هذا العلم الذين ينتفع منهم فيه

(تقريرا علي بك بهجت في التاريخ والجغرافية) مدح التلامذة في انهم اقلعوا عن عادة الكتابة من المحفوظات ومدحهم على ما حصلوه ومدح اساتذتهم على ما علموه واشار الى ان زميله يريد إلفات نظر المدرس للجغرافية الى العناية بالرسم

(تقرير جعفر بك في الخط) قال ان الطلبة ينقصهم كثرة التمرين خارجا عن النموذجات التي تمرنوا فيها

(تقرير ممتحن العلوم الطبيعية) قال ان اجابات الطلبـة كانت جيدة في العلوم الطبيعية واحسن منها في الكيمياء فانهم لم يعرفوا ما هي الكهربائية الديناميكيه واقترح تنقيح البرنامج الحالي وجعله ارقى مما هو عليه الآن

(تقرير ممتحن فن الرسم) قال ان (١٢ونصف) تحصلوا على (٧٠) في المائة من الدرجة النهائية وقال ان عدد الفرقة كان كثيرا بالنسبة لموضوع الرسم على تختة التباشير وطلب تخصيص ساعتين في الاسبوع للرسم لان زمنه الحالي قليل

(تقرير معلم الجباز) قال ان النتيجة مرضيه واثنى على نشاط الطلبة وعلمهم بما يلقى عليهم من التعاليم

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٦

بقية بحث احاديث الا حاد وكونها من اصول الدين

قال في الأحاديث ماخلاصته: انه لا يبعد ان يكون بعضها موضوعا وان ما غلب علي الظن ان يكون له أصل صحيح كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدإ الاسلام — إلى قوله — وما جاء في القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم يأت أمثال هـذه المسائل الخاصة فيه ثم قال ونهى رسول الله (ص) المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كالقرآن الشريف — إلى قوله — لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز

وأقول ان ما كان موضوعا فقد بينه النقاد بدور العلم ونجوم الهدى (رح) ومن سلك الطرق المؤدية عرفه والصحيح قد بينوه على اختلاف مراتبه وهو كثير وشريعة الله ودينه هو ما في الكتاب والسنة النبوية — والعجب ان الدكتور الفاضل قد ذكر في رسالته هذه ان في الكتاب كثيراً من الاحكام الخاصة ثم هو ينكرها هاهنا ونحن نعلم ان فيه المخصوص والمقيد والمجمل والمبين. والأحاديث وان كان قد يوجد فيها بعض ذلك الا ان ما فيهـا من ذلك هو أقل مما في القرآن. ونهيه (ص) عن تدوينها قد قدمنا الـكلام عليه والمسلمون قد أحسنوا التوفيق بين الاحاديث وآيات الكتاب وما اعترض به حضرته قد عرفت الجواب عنه

أما قوله واني لأعجب من أهل الحديث وقوله فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما يسمع أقوالا منسوبة الى الرسول (ص) ان يفني حياته في معرفة أحوال رجالها

والوقوف على أمورهم إلى قوله فأيّ حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد الى آخره

وأقول الأمر أيسر وأسهل مما ظن الفاضل — فالمتأهل للنظر قد سهل الله له الأمر بما قد صنفه العلماء من الاصول وما جمعوه من الصحاح التي قد هذبت ونقيت وقربت واختصرت على ان الجد والاجتهاد في تحصيلها هو من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت له نفائس الاوقات «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» فسد الزمان وتركت الاديان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلتكن منكم أمة يدعون الى الخير. اما العوام فلا حرج عليهم ولا تضييق — وقد قال تعالى «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» — أي اسألوهم عن دين الله لا عن آرائهم المخالفة له فمن أجاب بغير ما شرعه الله أو بما يخالف ما شرعه فليس هو من أهل الذكر الذين أحال الله عباده إلى سؤالهم بل هو من أهل الرأي المذموم ولا ندري ما مراد الفاضل بهذا والله المستعان

قال حضرة الفاضل حفظه الله في الكلمة السابعة من رسالته — السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة الى ان قال وهناك فرق عظيم بين لفظ السنة ولفظ الاحاديث ويجب على كل باحث ان يدرس هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخبط — وقال اما تسمية الاحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين الى ان قال — والسنة لا تكون إلا عملية — وأقول ان الله قد أمر باتباع رسوله (ص) ولا شك ان الاتباع يدل على امتثال أمره فيما قال (ص) ونحن لا ننكر ان الاتباع لغة يكون في الفعل أكثر منه في القول — أما كون ذلك هو العرف الشرعي فلا نسلمه وإذا كانت السنة هي الخطة والطريقة كما قال حضرته فلا شك ان الخطة يكون أصلها القول — والطريق والطريقة والسبيل معناها واحد — وقد قال تعالى «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» والدعاء قول وقد سماه سبيلا — والفاروق الخليفة الثاني (رض) قال أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث ان يعوها وتفلتت منهم ان يردوها فاستبقوا الرأي — وفي رواية واستحوا حين يسألون ان يقولوا لا نعلم

فعارضوا برأيهم فاياكم واياهم . وفي رواية أخرى اياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا - قلت وهذه الآثار سواء كانت موقوفة حقيقة أو قد سمعها من رسول الله (ص) فانه رضي الله عنه قد سمى الاحاديث سننا و بذلك يظهر ان تسمية الاحاديث سننا ليس هو اصطلاح متأخر وقد روي وصح عن غيره نحو ذلك وهو كثير - على انا نقول أيضا ان الله كما أمر باتباعه في سننه (ص) كذلك قد أمر و رغب وأكد بطاعته - والطاعة انما تكون في أمره القولي حقيقة وقد ذكرنا ذلك وما يقار به و يضارعه بما لا مزيد عليه في رسالتنا السابقة

قال ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره (ص) وجروا عليها في أعمالهم - وقال وهذا أدل دليل على انها لم تكن دينا عاما لجميع البشر الى آخره . وأقول لا يلزم ذلك لان جميعهم لم يعلموا القرآن أيضا ولم يجروا في فهمه على طريقة واحدة في كل مسئلة مسئلة و واقعة واقعة وهذا الخليفة عمر (رض) من كبارهم قد خفي عليه أمر الصداق وهو موجود في القرآن فلما قرأت عليه الامرأة قوله تعالى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» قال « رجل أخطأ وامرأة أصابت» . فاشتراط استوائهم في العلم والعمل واتفاقهم على جميع الاحكام شرط لغو لم يقل به أحد من المسلمين كلهم ولم يكن لحضرة الدكتور حفظه الله فيه سلف لا في العمل ولا العلم بالقرآن ولا في السنة - واذا كان الامر في القرآن كما عرفت وقد امتاز بانه كلام الرب بلفظه وهم مأمورون بتبليغ لفظه للاعجاز ومتعبدون بتلاوته في الصلاة ونحوها والنبي (ص) كان يقرأه عليهم في الصلوات الجهرية ونحوها وهم كذلك . كل ذلك وهم لم يتفقوا على جميع احكامه ولا على العمل بجميعها كما عرفت فكيف يصح ان يشترط ذلك في الحديث وهو انما هو في المرتبة الثانية ؟ أفليس من الجائز ان يقول (ص) قولا و يحدث بحديث أو يحكم بحكم فلا يسمعه ولا يحضره الا بعضهم فيخفى على الآخرين ؟ على ان بعض الاحاديث قد عمل بها واتفق عليها أهل الحل والعقد منهم (رض) وقد حدثت أمور و وقائع فرجعوا فيها الى العمل بالحديث واذا صح عندهم الحديث فلم يكونوا يتأخرون عن العمل به - وأيضا أقول بلا مجازفة قل

ان يوجد حديث يصلح للاحتجاج به الا وقد عمل به منهم عدد - ومن لم يعمل به فنحن نعلم ونقطع بانه لم يبلغه أو لم يصح عنده وذلك بديهي مدة عملهم فلا إيراد ولا شبهة فيتأمل فيما قدمناه من الحجج والله أعلم

فالاحاديث الصحيحة قد جري عليها العمل بلا انقطاع الى يومنا هذا - اما الخلاف في الدلالات والترجيح وتقديم بعض الادلة على بعض في موارد الخلاف والتعارض فهو واقع في القرآن والحديث يعرف ذلك من اختبره وعليه فلا يصلح ذلك دليلا على ان الشرع موقت بزمان دون زمان وحال دون حال

ونحن قد قلنا في رسالتنا السابقة ان جميع الاحاديث المتفق على صحتها او التي صححها او احتج بها اهل الكتب المشهورة قد تلقتها الامة بالقبول فلا نعيد الكلام خوف الاطالة

قال الفاضل حفظه الله في الكلمة الثامنة من رسالته

(١) قال الامام احمد بن حنبل (رح) ما معناه ان الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - واقول اولا ان الدكتور الفاضل اذا أخذ هذه المقالة عن الامام احمد (رح) وضم اليها ان جميع السنن لا تقبل ولا يجب العمل بها فماذا يبقى بين ايدي المسلمين من بيان الدين ومجملات القرآن . وعليه فلا يبقى الا العمل بالرأي وقد عرفت ما فيه - (أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) قلت والذين عرفوا الامام احمد واقواله انما حملوا قوله على انه لم يصح عنده في ذلك شيء مرفوع لأن عامة ما يروى انما هي المراسيل - وقد قال غيره من الأئمة ان حكم اكثر الموقوفات في ذلك الرفع وعدم علمه لا ينفي ان يكون هناك شيء كثير مرفوع لم يبلغه - على انه قد نقل عنه في الاتقان انه قال اي الامام احمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا

وما قاله الامام احمد (رح) لا يفيد الدكتور الفاضل شيئا - وفرق بين ماذهب اليه الدكتور الفاضل ومايدل عليه قول الامام احمد رحمه الله أمين ولو أردنا ان نورد عن الامام ما قال في وجوب اتباع الاحاديث لاستدعى ذلك مجلدا كبيراً وكذلك

الامام الشافعي (رح) كلاهما على نقيض مذهب الفاضل الدكتور — وقول الامام الشافعي (رح) في النسخ انما هو من نوع الكلام فيما اذا تعارضت الادلة

أما ما نقل عن أهل الظاهر فليس كما قال ولم نر من نقل عنهم عدم وجوب العمل بها كيف ومذهبهم انما اشتهر بالعمل بالقرآن والحديث فقط ولذا يقال لهم أهل الظاهر . انما ينقل عن بعضهم انه منع تخصيص الكتاب بالكتاب وهو مبني على اصطلاح متأخر اعتمدوه والحق خلافه . نعم نقل عن امامهم داود (رح) ان المتواتر من السنة يعارض الكتاب ولا يخصص احدهما الآخر أي فهو يتوقف حتى يعلم التاريخ وحينئذ يكون ذلك عنده من مسائل النسخ لا التخصيص واما آحاد السنة الصحاح فلا نعرف لهم خلافا منقولا نقلا موثقا انهم منعوا تخصيصها للقرآن . و بذلك تعرف ان قولهم انما هو مخالف ومناقض لمذهب الاخ الفاضل الدكتور حفظه الله

قال قال جمهور الاصوليين انها ظنية — واقول قد قدمنا الكلام على ذلك وان الحق غير ذلك على انهم مجمعون على وجوب اتباعها

قال وقال جمهور المسلمين انه لايجوز الأخذ بها في العقائد . واقول كونهم الجمهور غير مسلم . بل الجمهور من عهد رسول الله (ص) الى يومنا هذا على خلاف ذلك على انه لايجب علينا ان نعتمد ونتدين باقوال الرجال الا اذا وافقت الصواب من السنة والكتاب

قال قال كثير من الائمة كالقاضي عياض انه لا يجب الاخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة — وأقول قد سبقهم الى ذلك سيد المرسلين (ص) فيما صح عنه لكنه لا يدل على ما زعمه حضرة الفاضل ولا يؤيد مذهبه

قال وقال جميع المحدثين ان الموضوع منها كثير وتمييزه عسير جدا وفي بعض الاحوال مستحيل — قلت اما ان أحداً منهم قال ان تمييزه مستحيل فغير مسلم واما الكثرة فلا بأس وهم قد ميزوا ذلك وظهر امر الله

واما ما نقل عن الامام ابي حنيفة فان صح ذلك كان بحسب اطلاعه لا انه في نفس الامر كذلك وامام الاحناف رحمه الله قد استفاض عنه وجوب تقديم الحديث الضعيف على الرأي فهو وأتباعه الصادقون على نقيض ما يذهب اليه الفاضل الدكتور

وما نقل عن الامام مالك (رح) فليس مما نحن بصدده وانما هو من باب ترجيح احد الدليلين اذا تعارضا وهو لا يدل على ما ذهب الفاضل الدكتور حتى ولا من باب الاشارة ومذهب الامام مالك (رح) معروف في ايجاب العمل بالاحاديث الصحاح

قال اجمع المسلمون على عدم تكفير من انكر أي حديث منها . قلت ان من أنكر ذلك لانه لم يصح لديه فالامر كذلك ونحن نقول بذلك وأما من رد ما عرف ان النبي (ص) قاله بلا مسوغ فهو كافر برسالة محمد (ص)

وقوله ان تناقضها كثير الى آخره جوابه ان ذلك انما هو في نظر بعض الناس ودعوى الكثرة والاستحالة في التوفيق غير مسلم ـ وقوله قام الدليل الحسي الى آخره جوابه اننا لانسلم ذلك . وقوله لم يجمعها الصحابة الخ قدمنا الكلام عليه

قال لم يبلغوها الى الامم بالتواتر ـ أقول ذلك غير لازم وهو لا يضرنا والشيء لايكون متواترا الا اذا تواتر بل قصد وتواطى وانما يكون متواترا بالاتفاق (كذا)

قال انهم نهوا عن كتابتها وأحرقوا ما كتبوه منها ـ وأقول قدمنا الكلام على الكتابة وأما الاحراق فهو لم يكن لاحاديث النبي (ص) ـ وعلى المدعي البيان بما يعين ويدل على مراده

قال قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه ـ أقول ان صح ذلك فانما هو عن بعضهم وسببه كما قال خوف الغلط على رسول الله (ص) فيقع المكثر في الكذب على رسول الله (ص) على ان من يقال انه كره ذلك هو نفسه قد حدث عن رسول الله (ص) بأحاديث كثيرة واذا كان مراده أن الذي كره ذلك عمر (رض) فقد روى عنه الجم الغفير أحاديث كثيرة وقد قدمنا بعض قوله في الاحاديث وان غيره فعليه بيانه على ان كراهة الاكثار من التحديث او وما ذهب اليه الدكتور الفاضل او آخر فلا حجة له في ذلك فتأمل

قال كان افاضلهم أقل الناس حديثا الخ وأقول ذلك غير مسلم على ان التحديث القليل الذي يسلمه هو حجة عليه ينقض مذهبه ونحن نقول ان عدم الاكثار له أسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها.

قال من كان من الصحابة (رض) كثير الحديث ملوه وزجروه كما فعل عمر

(رض) بأبي هريرة (رض) وأقول أبو هريرة من الثقات ومن الصحابة الكرام - وكلام عمر له أسباب غير مايريده الدكتور الفاضل وقد عرفت بعض كلام عمر «رض» وهو من اكثر الصحابة أمراً باتباع الحديث والسنة وقد حدث عن رسول الله «ص» بأحاديث كثيرة

قال ان ائمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها . قلت بل قل اتفقوا على كثير من ذلك وهذا ان صح ان يقال فانما كان قبل ان تدون أما بعد ان صنفت ودونت فقد اتفق الحفاظ والائمة المتأخرون على قبول تصحيح ماوسم بالصحة في الكتب المشهورة وما بقي فيه بعض اختلاف فهو طفيف يمكن المنصف تمييزه

قال لم يعتن المسلمون بحفظها كما حفظوا القرآن أقول لايلزم ذلك ولا يضرنا ونحن لم نقل انه يلزم لها في الحفظ اللفظي مايلزم ويجب للقرآن على انه قد اعتنى بحفظها كثير من الائمة والقادة وأهل القرائح الوقادة الذائدون عن الدين كما اخبر بهم سيد المرسلين «ص» فجزاهم الله عن هذه الامة خير الجزاء ورحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم آمين وصلى الله وسلم على رسله الامين الى يوم الدين

* * *

هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا ارجو حضرة شيخ الاسلام أن يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من قراء المنار ومن ينظره بين الاعتبار - وألتمس من حضرته ان يصلح مافيه من الخطإ والزلل لأني كتبته بعجلة بعد ان كنت أردت الاعراض عن الجواب ولكن ارضاء لله ورسوله «ص» ثم للإخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك ارتجالا وألتمس من حضرة شيخ الاسلام أن يذكر ملخص رأيه وكذلك ألتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وايدبهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول مايبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات فنسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله الى يوم الدين قال ذلك بفمه وكتبه بقلمه

الحقير صالح بن علي بن ناصر اليافعي

(المنار) اننا نشكر لصديقنا الاستاذ اليافعي غيرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا و إياه من الغرباء الذين يظهرون السنن كما وردفي بعض روايات الحديث · ثم نشكر له حسن ظنه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطا وزلل و إطراؤه إيانا بالالقاب والنعوت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه و بين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فلا نرى ان نبحث في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يمله القراء و يعسر على أكثرهم ضبطه و ربطه بأصله ومن كان مستقل الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين او المتناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد أخطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقنا المتناظرين ٠

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث و إفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فسنقول فيها قولا مختصرا مفيدا ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

﴿ ايضاح وانتقاد ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فننشرها ونجيب عنها وهي :

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاما) و بعد فيظهر ان المنار في جوابه على سؤالي الانتقادي المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣م ١٢) لم يتمكن في معرفة قصدي من الانتقاد أو السؤال وأنا بغاية الايجاز اعيد عليه تفصيل مقصدي وما انتقده عليه ·

لا يخفى ان كل انسان يهمه مستقبله وان شئت قل تهمه الآخرة أكثر من

الدنيا ولايمكنا ان نجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤكم على آرائه يقولون إن الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين . فريق للجنة وفريق للسعير وإن شئت قل فريق للهناء وفريق للشقاء ..أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التعميم فهي غير معلومة للمنار أو لابن تيمية الذي يقول :

واصل ضلال الخلق من كل فرقة　　هو الخوض في فعل الاله بعلة

نترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقتا (وان كنا نعتقد بفساده) ونتأمل لماذا؟ يتبع ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل الانساني ... هل الأسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه النتائج ؟ ام النتائج الاخروية المقررة نفسها علة للاسباب الدنيوية ؟ ... أقصد اذا كان رجل كتبت له السعادة في الآخرة عند الخالق .. هل يوفقه الله تعالى لاسباب السعادة في هذه الحياة حتى ينيله في الآخرة ما قد تخصص اليه؟ من قبل ليكون كما هو؟ سعيدا ؟ .. أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان يتوفق؟ لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيميه

فمن كان من أهل السعادة أثرت　　اوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من اهل السعادة لم ينل　　بامر ولا نهي بتقدير شقوة

ومختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته باوامر الله فيتبعها ليكون كما لابد أن يكون .. والمكتوب من قبل للشقاء؟ لاتفيده المواعظ ولا الاوامر ولا النواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا . اذا علم المنار كل ما تقدم ووافق عليه فانا من جهة أخرى اقول له لا يهمني الآن فرقة القدرية ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالريشة في الهباء كما اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ

وكل الكلام الحلو الجميل الذي ذكره المنار في تفسير معنى القدر وما ذكره

في (٨ ـ حكم الاسلام في عمل الانسان)مسلم به بل القرآن ماهوا كثروأحكم وأمتن

(٢ ــ العقيدة)العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة فتض . . وإما ان تكون صحيحة فتنفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب تحكيم العقـل في كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقدجازما ان تقسيم الخلق على الشكل السالف من أول العقائد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضا . ولا يخافن المنار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عندالسوءال بشرط ان لا اتعدى القرآن والعقل . فلنترك ذلك ايضا موءقتا

(٣ـ اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتقد المسلم في دينه من حيث كونه مسلما آمن بالله وحده و باليوم الآخر ؟ . لا شك انه افضل الاديان . بل ايد القرآن ان من لم يكن في بواطنه «؟» مخلصاو خارجا عن مبادىء الاسلام كانت له النارحتما كالآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» فضف اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للاسباب المتقدمة الى الاعتقاد السالف بان الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلاعلة تجد منها«؟» ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل . وان المسلم موفق من الله باعماله الى السنن التي توءول به الى الجنة وغيره الى السنن التي توءدي الى ضدها او الى الشقاء

(٤ ـــ الكلام بحسب الواقع)ان بكلامي هذا للمنار اتكلم بالاغلبية العظمى «؟؟» الظاهرة عند المسلمين وما عليـه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان المتنورين النوادر الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر بيانهم وقوة عارضتهم لتحليل «؟» أي فرض عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجد(؟) مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وصاحب المنار مثل الغزالى وابن خلدون ممن ملوءا الدنيا بفصاحتهم وقوة بيانهم مالا يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريبا . ولا قـدم شيئاً للامة محسوسا ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي و يطلب صاحب المنار . ولم تزل ساقطة كما كانت تقريبا «؟» لو اردنا ان نعمل بينها و بين غيرها نسبة . وغرضي ان تتوصلوا لتأصل «؟» هذا الداء الذي هو اصل البلاء حتى يكون اصلاحكم المنشود

للامة فعال موثر «؟» لايزول . وليس كمن يكتب على الماء . لماذا ؟ . لانه اذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الانسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فالواسطة ان حسنت او ساءت لا تهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية المعول عليها مقررة ومعلومة .

(٥ — مثال عن حال تقسيم الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكرما ياصاحب المنار مثلا : رجلان وقفا امام ادارة المنار احدهما يسمى مسلما والثاني غير مسلم والاول اعلن «؟» من ادارة المنار انها ستحمله الى حديقة الازبكية ليتمتع بما فيها من الجنات والمسرات . والثاني اعلنته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء ولكن اخبرتهما معا في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة المنار والحديقة مملوء بأنواع المسرات وهو لهما معا فمن سار بقدميه وتأمل بعقله ولبس الكوز (؟) والنظامات الآلهية الى ما في الطريق (؟) تمتع .. وتنعم أي تنعم ومن وقف منتظرا مركبة المنار فليس له شيء مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان ... غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المعين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بلا سبب و بلا جواب ان سأل

افتكر ان المنار عرف مقصدي من هذا المثل فداخل الحديقة التي عدت «؟» للمسلم هي الجنة وخارجها لغير المسلم هي النا «؟» . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولهما معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم و بها معترك الحياة بين الجميع

(٦ — المسلمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتحصلوا على كل شيء في الطريق ونالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صدر الاسلام فتقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سعيدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوم مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع الفاني فلنتزهد ونتقشف في الحياة ولا نبحث على اكثر من قوت يومنا فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف لسعادة الروح بحسن المآل (ولا شك ان العقل الذي يجهل اساس السعادة

بالعقيدة من السهل عليه تجويز هذا الوهم) ولقد تتابع التقاعد وعدم الاهتمام للحياة بين الامم الاسلامية حتى لو سألت بعض المتفقهين الذين تغلب أفكارهم بين اكثر الناس عن افكارمثل صاحب المنار النيرة عن سبب تقدم الامم الغيراسلامية الحالي والماضي . اجابوك هؤلاء لهم الدنيا ولهوها وزينتها والعبرة بالاواخر والحياة الابدية ولقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الاخذ بالاسباب والتأمل للنتائج الطبيعية العالية والسنن الآلهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على التقشف وترك الدنيا(؟) وان كان صاحب المناوله في ذلك تأويلا(؟) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أوما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعلل تأخر المسلمين الدنيوي وانحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكنوا عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لها . . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الدنيوية للعلة الاخروية) يحتم بوقوع«؟» تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب نتائجها ولزوم وقوعها أيضا . . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الاسباب التي هي حجة النتائج«؟» مقدرة حتمية فالنتائج (أي الدنيوية خلاف الأخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالزام«؟» . . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس الا لتتميم رواية كلامية . . . واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الاسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال ولا داعي لاستخراج«؟» نتائج فلسفية أوعمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقي والهرب من القديم — ولا عيب على حكومات الاستبداد . . ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتتغير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحوير القدر الإلهي(؟) القابض على الاسباب (حسب وهمهم) بيد من حديد « وهناك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيدة في التقسيم المذكور فاسدة ولا أصل لها » ويكون الحكم العقلي على كل ما يحدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (؟)

(٧ – انتقاد المنار لكلامي) — لما أراد المنار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

في السؤال وجدت انه لم يصب الغرض الذي أرمي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكان عدم وقوع حادث وقع فعلا أم لا . . . اما أنا فقلت بالجواز وأقول به أيضا . . . . أما المنار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلا فقط ولم يزد ... فترى في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة له من الازل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جهتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق و بعبارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هذا ما قاله المنار والحقيقة اني لم أقصد المسألة بذاتها من حيث كونها مطلقة ووقعت فعلا بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطبيعية في كل ما يحدث وذلك مثلا يقال : فلان سرق قرطا من الذهب وجازته الحكومة لجنايته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل (؟) ان تقع منه السرقة فعلا ... أما جوابي وجواب العلم والقرآن فنعم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعا لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب المنار السالف في مسئلة ولي العهد أشبه (؟) بقوله . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء... وهذا لا يعد جوابا عن المقصود . . . مع ان ما جاوب به المنار لم ننكره بل أبدناه في نفس السؤال لانه مفهوم و بديهي لا يحتاج لأن يقول عنه المنار . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال المنار في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسئلة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . وهي نفس الجملة التي قالها المنار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد المنار لغوا وكان جوابه فقط دالا على لزوم التمسك بالعقدة بالقسمة ؟ وتخلصا مما عداها

(٨ ــ سبب التمهيد للاصلاح الاسلامي) ــ يا صاحب المنار ان كنت تريد اصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا فان تغلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية و تطابق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكثر ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين مما رأوه و رأيتموه من تقدم الامم

الغربية التي اتبعت هذه السنن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالاجمال من حال المسلمين اليوم - وان الأخيرين «؟» من زمن بعيد آخذون في التدلي حتى صاروا الآن وراء جميع الامم تقريبا - وان المجهودات الكبيرة التي يؤديهـا أمثالكم كالشعرة البيضاء في الجسم الاسـود بالنسبة لتعداد الأمة الاسـلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعيا لتثبيط همتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك المجهودات تصير كالهباء مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه تيقظ المسلمين الحالي راجع الى الضغط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسما أو فعلا لا الى الاصـلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصـلا بل يساعد على انتشاره لغرض الخلاص من سوء الحال لوقوف العقيدة امام العقول بالمرصاد «؟؟»

(٩- الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيرا في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين الآن في بحر عميق وان ذلك من توابع البحث في العلم والارادة وان الغربيين المسيحيين والمسلمين مشتركين «؟» في هذا الاعتقاد. قلت لكم: ان الغربيين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة تقيد عقولهم ونظامهم الفطري الطبيعي فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السالفة التي يتبعها المسلمون بوجودها «؟» بالفرض بينهم فهي «؟» ليست أصلا لاعمالهم وابحاثهم ولا هي مرجعا «؟» لمركز الاعتقاد في سعادتهم وشقائهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخرتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلا لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لاينكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والتي لم يهمل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعا ثانويا «؟» ممن تركه كما حصل منهم من مئات من السنين الى الآن وهم معذورون لتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالنافخ «؟» في الرماد

ولكن الغربي بالعكس صار ينظر بالتجارب العلمية والعقلية و بمقاومته «؟» أكثر المعتقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان عمله في هذه الحياة هو أصل سعادته وشقائه هنا وهناك وكل ماعدا ذلك من المباحث القديمة ثانويا «؟» وصار يقدم نفسه وماله فداء

بارتياح لمقاومة كل مايهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الموافقة للعقل والشعور الانساني وكان الاصل الاول الذي اتخذه لسعادته المحسوسة هو: «الحرية»

(١٠ـ الخوف من التقليد مع وجود الداء) ماذكرناه الآن هو الداعي لان نقول للمنار في صحيفة (١٩٠ ج٣م١٢) (اذا كان المنار وابن تيمية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم « الدنيوي » ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأمم الحية التي لاتعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة لهم والعقول «من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقائهم لامن حيث جهلهم لها بالمرة» فتزول منهم « أي همة المسلمين » اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية «مثل السيادة » الداعية لهذا التشبه لان الدين «عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالتقسيم» راسخ في الاذهان «كما هو ظاهر» من مبدإ وقتي أثره تقليدي . اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمبادي الطبيعية « والسنن الالهية المعقولة » التي تسير مع تقدم الامم الخ فهناك يكون الاصلاح من نفسه طبيعيا لاتهدده ولا تقاومه عقيدة

(١١ ـ الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم«؟» انكارهذ التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لان العقل والعلم لايقبله ثم ثبوت«؟» ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس«؟» وان نوم المسلمين مع اعتقادهم .ا هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا «؟» لهم أصله باطل محض ـ مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا«؟» لما هو مكتوب عند الله عامة على«؟» جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصلا لما ينتابه من الحوادث المذكورة ـ لان النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب«؟» ـ والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في العقل بشكل اجباري«؟» وان كانت البداهة تؤيد عدمه أومها تنوع فهم الاجبار المذكور بشيء من دلائل الاختيار وتعريف معناه وصفته «؟» كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ٣ م١٢) فكما

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منهما يلاشي الآخر وان كان لكل منهما تأثيرا «؟» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «؟» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن المعينة التي تلازمه وتلتصق به إلصاقا و بذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الحق الطبيعي «؟» .

(١٢ - حل المسئلة) اذا كان المنار يتفضل بحل المسئلة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أ كبر دآءاتها (كذا) وما كان في نصائحه الفلسفية العمرانية التي يذكرها تباعا كمن يشد الحبل من طرف فتشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من المجهودات . بل ربما تدلت الامة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لابد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة - واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الغراء فاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا صحص الحق طلبنا منه معاونتنا على تأييده والذود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا الاصلاح كالمنار ما استطعت وما توفيقي الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقاد على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣ م ١٢ اجلها لوقت آخر حتى أرى ما سيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام

سوا كن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩ كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

سبق لنا تقريظ كتاب المنتقد (احمد افندي بدوي) اشرنا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لعدم تمكنه من درس الدين والتوسع في اللغة العربية التي يتوقف فهمه على اتقانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على ما فهمه من قصيدة لابن تيمية وعلى حكمه بأننا موافقون لابن تيمية فيه او في كل شيء — وكأنه أخذ ذلك من ثنائنا عليه — ولكننا نشرناه عناية به وحفزاً لهمته الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعداده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وتركنا الباقي على حاله الا أننا وضعنا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمعنوية وقد تكون العلامة لعدة اغلاط في الجملة كما لا يخفى على العارفين

ان كان يريد الانتقاد على شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول إن ماذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون واخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل الغزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الى معرفتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يعجل بهذا البيان حرصا على هداية هذه الامة وكراهة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقائها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ اشهر شيوخ الاسلام فيها إن كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المعقول وأما مسلكه فلم له نعقل وجها صحيحا

قرأنا مقاله المسلط ففهمنا بعضه من العبارة و بعضه من القرائن ومنه جمل لم نفهمها بالمرة لان تركيبها غير صحيح . وقد علمنا منه أنه لم يفهم ما كتبناه كله وانه يبني الإيرادات والاعتراضات على شيء في مخه يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتى انه ينسب الى المنار ما يدعو المنار الى ضده حتى في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في اللغة هما سببان فيما ذكره من عدم فهمنا لغرضه من انتقاده الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه هو لكلامنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويفكر فيه لما سنذكره في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل معدودة بالارقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث واننا نبين ما لا نرى بدا من بيانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالارقام ثم نقول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تنطبق آراؤنا على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل إيجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يعتقد فساد هذا التقسيم أي بطلانه وعدم صحته ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمد علمه من القرآن والعلم الصحيح!! ونقول إن القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى «٤٢ : ٧ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ٨ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزلي فمعناه انه ثابت في علم الله الأزلي لا معنى له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار للقرآن نفسه لا يصدر من مؤمن به وان كان ينكر أزلية علم الله تعالى به و بغيره فحكمه عند المسلمين معروف أيضا . وأما قوله ان صاحب المنار وابن تيمية لا يفهمان علة هذا التقسيم فلا نجيبه عنه لأننا لا نحب أن نضيع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بما يشاء علم ذلك ام لم يعلمه

«٢» ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين

«٣» اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة ولغيره النار الخ فيه تفصيل بيناه في التفسير مرارا لجهل عامة المغرورين له وهو ان الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

وان المسلم الموفق مختار في اتباعه لنبيه والكافر المخذول مختار في عصيان نبيه وان علم الله الأزلي لا ينافي هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه مختار فيه كما بيناه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال المنتقد (ص ١٩٩ ج ٣)

«٤» الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا يقول أحد من المسلمين العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو لزيد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا تتبدل بل نقول ان الغاية مجهولة لنا وانها تكون على حسب أعمالنا الاختيارية « ان خيرا فخير وإن شرا فشر » ولكنها معلومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما لا تغير فيه ولا تبديل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي لا تعلم ولا يعلم علاجها فعلاج الجهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا فيه كالنقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر انتفع به ألوف من الناس وانبث في المدارس الدينية والرسمية وسيعم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في الأمور الاجتماعية »

«٥» ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لضعف عبارته وهو غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ما عرفه منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بانهم سيكونون في الجنة وطائفة أخرى بأنهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمور سمى مجموعها الاسلام وناط دخول النار بأمور يعبر عنها غالبا بالشرك و بالكفر و بالظلم و بالفسق ، ولما تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (٤ : ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يُجزَ به ولا يجدْ له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فناط أمر الغاية النهائية بالعمل لا بالانتساب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته فقال (١٢٥ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

حنيفا) الآية ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خيرمنكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل وإسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب » الآيات

فالأمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغيرالاسلام فما بال المنتقد ينتزع المشكلات من جهالات العامة ويحمل عليها بعض عبارات العلماء وغيرالعلماء من غير تمحيص ويوردها على الدين اوعلى العلماء المخطئين او المصيبين ؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والتربية الصحيحة وهوالذي ندعواليه

«٦» ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المسلطة . وما تفلسف فيه من الاسباب والنتائج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفلسفية في هذه المسائل وقليل ماهم ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندي من اللغو

(٧) ما قاله في جواب المنار عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه و بعد وقوعه وحادثة مرض ولي عهد المانيا عبارته مسلطة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها . وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان تقع السرقة منه ان لا يسرق ام لا ؟ زعم ان مقتضى كلام المنار انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق . والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

نظرنا في ذلك باعتبار ان العمل وقع من الرجل علمنا ان وقوع السرقة منه حتم لم يكن منه بد لا باعتبار الامكان الخاص بطبيعته كما تقدم بل باعتبار الواقع ونفس الامر . وكذلك باعتبار علم الله تعالى فانه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع وإلا كان جهلا وذلك محال . فاذا لم يفهم المنتقد انفهمه ويفهمه جميع العقلاء من كون الواقع قد انتهى الحكم فيه وانه لا يقال فيه نفسه كان يمكن أن لا يقع لأن هذا تناقض وإنما يقال ذلك باعتبار طبيعية الامكان وصرف النظر عن كون الامر قد وقع بالفعل - اذا لم يفهم هذه الدقيقة في الفرق بين الاعتبارين تنازلنا له عنها فانها مسألة عقلية محضة لا يترتب على الخلاف فيها أمر كبير

« ٨ » لقد تبسمنا عند قراءة قول المنتقد « يا صاحب المنار ان كنت تريد إصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا » فيالله العجب من شأن الانسان أينهى صاحب المنار عن التقليد بعد ان حاربه وحارب أهله اثني عشرة سنة ! ! ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المنار ! ! أما قوله ان الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية وانطباق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينتشر عند بعض المسلمين الا بسبب ما رأوه من تقدم الأمم الغربية باتباع هذه السنن وبسبب ضغط أوربا على الكثير منهم — فهو صحيح في الجملة ولا يضرنا ان تعدنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا اليه القرآن وأن نفهم منه ما لم نكن نفهمه نحن ولا آباؤنا الأولون فان كلام الله تعالى بحر لا تنفد حكمه بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١ : ٥٢ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) على اننا لا نسلم ان المتفهمين بذلك والمقتنعين به هم الواقفون على أحوال الغربيين دون غيرهم فالحق ان الامر ليس محصورا فيهم ، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة . واما قوله ان « المجهودات » الكثيرة التي يؤديها أمثالنا هي كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود فهو غير صحيح وليس لمثله ان يحكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائط أخرى كافية لمعرفة سير الاصلاح فيهم فالحق ان الاصلاح أوسع

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فنموه في كل مكان يبشر بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدرى » فزعمه ان تلك المساعي او المجهودات تصير كالهباء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته ،

«٩» ان ما ذكره من فك الغربيين للقيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصرح بمرات كثيرة حتى بالتعبير بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه عن المؤتمر الاسلامي (ص٦٧٩م١٠) فلاحاجة بنا لاعادة قراء المنار دروسه علينا، وما ذكره عودا على بدء من التهويل في مسألة ما سماه عقيدة التقسيم قد سبق آنفا انه مخطئ فيه لأنه في مخيلته أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فما هـذا الإلحاح والتكرار اللهم صبرا، نعيد له القول — في مقابلة إعادته — إن ما نجعله هو الاصل في سعادة الغربيين من جعل العمل في هـذه الحياة هو الموصل الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كالغول يغتال المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بهما جميعا ولكن تسرّب الى دهماء المسلمين من نزغات الجبرية وكسالى المتصوفة ما كان مع الجهل بحقيقة دينهم سببا من أسباب كسلهم الذي نشكو منه وشرحناه في المنار مرارا والتربية والتعليم الصحيحان يكفلان إزالة ذلك بالتدريج — ومنه النشر في الصحف الدورية — ولن يزول بغير ذلك

«١٠» ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرره غير مرة من استحالة الجمع بين عقيدة التقسيم و بين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية ، وزعمه ان كل ما يعمله المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للغربيين وانما يخرجون به من ربقة التقليد اذا محيت عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحالة يكون أظهر لأنه محاكاة للمقلد من كل وجه ، ورأيه هذا يشعر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فهما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء ، التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك وتحاكيه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكيه فيه هو الصواب ، فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجربي

عند المسلمين القائلين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة انما ينالان بالعمل بمقتضى سنن الله تعالى في خليقته وشريعته وعملوا بذلك لا يكونون مقلدين للإفرنج بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجربة ان الافرنج نجحوا بذلك

«١١» عبارة هذه المسألة أشد عسلطة من سائر المسائل ليس فيما يفهم منها شيء جديد الا تفلسف وتفصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خفاء ولو أننا حذفنا أمثال هذا لظن القارئون انه فاتهم شيء كثير

«١٢» هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مرارا طالب المنار بأحد أمرين إما ان يحل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هو لنا ان هذه العقيدة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة وهو مستعد لبيان ذلك في المنار ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلا في القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ، ولست قادرا على تصور فهمه للمسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقتل أدواء المسلمين عنده فأحل له ما أحكم من العقد في خياله كما انني لست مكلفا تفصيل قول ابن تيمية فيها ولا سبق لي ان ذكرته وايدته وإنما ألصقه بي تمهيداً لما يريد التفرد به من بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين، ولا أنشر له بعد الآن في المنار شيئا مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام معسلط مضطرب ربما يحدث للضعفاء اضطرابا في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وانما ننشر في المنار أحد شيئين : إما بيان مسألة مما يحتاج اليه الناس و يستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة نفهمها ويفهمها مثلنا العارفون بلغتنا العربية الفصيحة واما انتقاد لمسألة معينة أوردناها في المنار بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطإ فيها والدليل عليه بعبارة فصيحة تفهم وما كتبه اخونا المنتقد أولا وثانيا ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه عناية به وتنشيطا له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفته قيمة رأيه و بيانه له

انه انتقد علينا اولا في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

ماقرأه منه، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له يغلب على ظني انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطالا في هذه المسائل وللثاني منهما كتاب كبير فيها اسم « شفاء الغليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطإه الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فهل يرضى احد من قراء المنار ان ننشر فيه مثل هذا الكلام

إنني ا كتب هذا وانا متألم لاضطراري الى مفاجأة رجل محب للعلم والفلسفة والاصلاح ببيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة اللطيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الا إعجابه بما عنده فعسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فربما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من بيانه لها

* * *

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١١: ١٠٥) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٤٢: ٧) وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه كما قال في سورة الأعراف(٧: ٢٩ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المنتقد من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينافيه عقل ولا علم بعد اثبات حقية الآخرة بل هو معقول واسبابه مشاهدة في الدنيا. بل نقول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فجعل بعضهم فقيرا و بعضهم غنيا و بعضهم رفيعا و بعضهم وضيعا كما قال (٤٣: ٣٢ أهم يقسمون رحمة ربك؟نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)الآية ولكن قسمته تعالى لاتنافي ماوهبه للانسان من الاختيار والاستقلال فان هذا داخل فيها

(٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

علم الله تعالى فهو قديم بقدمه أزليّ بأزليته فالقسمة فيه قديمة أزلية أيضاً .

واما الفعل فلا تتحقق قسمة الجنة والنار بحسبه الا في الآخرة فهناك تكون القسمة فعلية ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تتحقق لكل فرد في مدة وجوده في الدنيا لا في الأزل .

وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله وصفاته وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالايجاز في جواب المنتقد (ص١٩٩ج٣) ونقول الآن كلمة وجيزة ايضا وهي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكونه التربية والعادة من الصفات في نفسه و بذلك يكون مصدرا لسعادتها او لشقاتها بعمله فكل فرد من افراده يعمل بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يجعله في القسمة مع احد الفريقين وليس علم الله الازليّ بالقسمة ملزما له بالعمل لأن تعلق العلم تعلق انكشاف لا تعلق فعل والزام على أنه يتعلق بالشيء و بعلته .

واما القسمة بالفعل ـ وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع ـ فالبضرورة لا تكون ملزمة ولا مجبرة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا سالبة لحريته واستقلاله فيه لانها أي القسمة بالفعل هي المعلول للعلة التي تتكلم عنها وهل يكون الشيء علة لنفسه ومعلولا لها؟ هذا دور ظاهر . وقد بينا الدلائل النقلية والعقلية والوجودية على استقلال الانسان في الفكر والإرادة ـ وهما مصدر اعماله التي يكون بها في القيامة من أحد الفريقين ـ في عشرات أومئات من المواضع و بينها الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص١٢٥ من طبعة المنار)

(٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمة وقد تمر السنين ولا تخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطرها في باله فتمر فيه مر النسيم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويتفلسف بقدر استعداده . وما زعمه المتقدمن كونها هي علة العلل لكسل المسلمين وتقصيرهم في أعمال الدنيا عن غيرهم من الامم فغير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمة الارزاق فهموها على غير وجهها وقد بينا ما فيها من الفساد والخطإ في التفسير والفتاوى

وغير ذلك من ابواب المنار مرارا كثيرة منهـا بحث التوكل والاسباب في التفسير « ص ٨٠١ — ٨٠٨ م ١١ » الذي بينا فيه خطأ الغزالي في التزهيد في الدنيا .

و بيان خطا المخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لا بد من بيان الحق الصريح في تلك الامشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وإنما هو بعضه او مقدمة له فانه بنشره المرة بعد المرة في صحف المنار المنشرة يثبت في نفوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهؤلاء يدخلونه في تعاليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يستمدون على المنار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكتوباتهم ولو مع عدم التنبه لمصدرها وبمثل هذه الوسائل تم كما عمت تلك التعاليم الباطلة من قبل

«٤» ان مسألة تعليل افعال الله تعالى نفاها الاشاعرة وقد أثبتها ابن تيمية وابن القيم بالدلائل والبينات النقلية والعقلية وأثبتا ان القضاء والقدر لا ينافيان اختيار الانسان واستقلاله الممنوحين له من خالقه ولا وجوب العمل عليه لدنياه وآخرته فتحامل المنتقد على ابن تيمية وحده لأبيات قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائبه

ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة ومشيئة واختيارا وأن قدرته موثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا ، وأنكر على جمهور الاشعرية مايقولونه في الكسب ونقل موافقة بعض أئمتهم على ماقال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرايني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المنتقد ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المنتقد كرر الشبهة التي أوردها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرر زعمه بأن كل سعي فيه يكون باطلا مالم تثبت للمسلمين بطلان هذه العقيدة . ونحن نكرر له الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لا ضرر في اعتقادها وانما الضرر في فهمها على غير وجهها كفهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا الفهم لوازم باطلة وانا مازلنا نبين حقيقة هذه المسائل و بطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها

خطبة في عيد الدستور

﴿ تلاها في الاحتفال العام بطرابلس الشام ﴾

« الشيخ اسماعيل افندي الحافظ الشهير »

لم يمر على الأمة العثمانية يوم هو أوفر جمالاً ، وأكثر إقبالا ،من مثل هذا اليوم المجيد الذي أشرقت فيه كواكب سعدها ، في أفق مجدها ، باهرة الاضواء ، ساطعة اللألاء ،

في مثل هذا اليوم هبت نسمة قدسية، من أفق العناية الالهية ، ترنحت لها أعطاف ابطال الحرية ،من جمعية الاتحاد والترقي الفادية المفدية ، فنهضوا لاسترداد المفقود، واصلاح الموجود، بقلوب تمثل أقصى مراتب الحمية الملية ،وعزائم تناهض الدهر حزما، وتغالب الايام ثباتا ، فأنقذوا الأمة من براثن الظلم ،ووضعوا عنها أغلال الغلبة والقهر، وأطلقوا العقول من قيودها ، ونشروا الافكار من لحودها ،

في مثل هذا اليوم شعر العثماني انه عضو عامل في أمة حية يسعد بسعادتها و يشقى بشقائها ،فهب من سبات غفلته ،وشمر يدأب في مصلحة أمته ، فرأى ان لاسبيل الى سعادته الا بالاتحاد، وان لاتحقق للاتحاد الا بالإخاء والمساواة ، فتآخت ملل الامة وأديانها ،وتساوت شعوبها وعناصرها، وتضامت أجزاؤها، وتماسكت أعضاؤها، واقبل المسلم يعانق المسيحي ، واليهودي يصافح الارمني ، والتركي يفدي أخاه العربي بنفسه، والكردي يدافع عن الالباني بمهجته ،والكل موقن ان لاغنى له عن الآخر في حياته الاجتماعية ، وسعادته القومية ، في شكل يسحر الالباب بهاؤه ، ويأخذ بالقلوب بهجة ورواؤه ،

في مثل هذا اليوم تفجرت ينابيع حياة الامة فسرت في أجزائها المفرقة ،ودبت في أعضائها الممزقة ، فاتحدت أفرادها ، وتوحدت أعدادها ؛ وصدرت عنها أعمالها بإرادتها الكلية ، وحركتها الاختيارية ، فتوجهت متحدة نحو سعادتها الحقيقية ،متملصة

من ظلام الباطل الى نور الحق ، ناهضة من حضيض التأخر الى يفاع الترقي ، معلنة بأطيب ألحان الحرية ، آيات العدل والانسانية ، تحت لواء الاخاء والمساواة :

في مثل هذا اليوم أعلن القانون الاساسي فقضى للأمة بنيل حريتها ووهبها نعمة الاستقلال وخول لافرادها ان يكون لهم رأي مقبول في ادارة شؤون مجموعها وهي نعمة تعد أساسا مكينا لسعادة مستقبلها، ورقي حقيقي تنهض اليه فتنال ماقدر لها من الكمال ، وما استعدت له بفطرتها من مظاهر الإقبال

نعمة دلنا الاستقراء وعلمنا التاريخ ان الامم التي تكون محرومة منها لايكون لها اجتماع حقيقي ولاسعادة صحيحة ، وان ظفرت باليسير من ذلك فما هو الاصورة خيالية تظهر بمظاهر وهمية ، لأسباب توجدها المصادفة والاتفاق ، ثم لاتلبث ان تذهب بذهاب أسبابها، شأن الحوادث الناشئة عن أسباب موقتة. نعمة قيضها الله لبعض الأمم فنالت بها من العز والمنعة والمجد والعظمة مانشاهد آثاره ونسمع أخباره ، وحرمها بعضها فبقيت راسفة في قيود الجهل تائهة في بيداء الغباوة لايرعى لها جانب ولا يحفظ لها حق، فلاغرو ان تحتفل جميع الامة العثمانية بيومها السعيد احتفالا يتجلى في أبهج مظاهر الزينة وأهنا مجالي الفرح ، ولاغرو أن تشرئب العقول لتعرف معنى هذه النعمة ونسبتها الى الهيئة الاجتماعية :

اختلف فيها أنظار الباحثين، وتنوعت منازع الناظرين ، فذهب بعضهم الى ان حرية الامة أو حكم نفسها بنفسها ليس هو حقا طبيعيا لها بل هو حالة اجتماعية يقتضيها طور من أطوار الامة وينبذها طور آخر وان الامم لاتستحقها الا اذا بلغت مرتبة مخصوصة من مراتب الاجتماع وانها قبل ان تصل في اجتماعها الى هذه المرتبة فلاحق لها بنيل حريتها ولا بالمطالبة بها كما انه ليس لحكامها ان يفوضوا لها شيئا من شؤون نفسها خشية ان تتصرف تصرفا يفسد حالها ويوجب طروء الخلل في ادارتها

وزعموا ان حالة الامة اذ ذاك كحالة الصبي قبل بلوغه فانه لايجوز في نظر العقل السليم ان يطلق له التصرف في شؤون نفسه لئلا يفسد عليه أمره ويضطرب حاله، وان ماهو للشيء بطبعه لايتخلف عن ماهيته مع ان كثيرا من الجمعيات البشرية عاشت أزمانا

متطاولة وهي مملوك عليها أمرها، مستبد عليها في شؤونها، فكيف يكون حكم الامة نفسها بنفسها حقا من حقوقها الطبيعية ومميزا من مميزاتها الفطرية

وذهب أهل البصيرة منهم الى ان حكم الامة نفسها بنفسها حق طبيعي ثبت لها يوم صح ان يطلق عليها لفظ أمة فهو وصف لازم لذاتها غير منفك عن ماهيتها وان من عمد الى سلبها هذا الحق فرداً كان أو جملة فهو كمن عمد الى سلب انسان حقه في استنشاق الهواء وتناول الغذاء، أوكمن قيد إنسانا عن حركته الطبيعية التي يهمّ بها بارادته ويباشرها بقدرته

واستدلوا على ذلك بان العقول السليمة متفقة على ان كل فرد من بني الانسان هو بحسب فطرته حر مستقل في حركته وسكونه واقدامه وإحجامه وأخذه وتركه وان الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قد حكمت بأن له حقا طبيعيا في ان يتصرف بشؤون نفسه كيفما شاءت إرادته ومال اليه اختياره وان الباحثين في تعريف ماهيات الاشياء وتحديد طبائعها قد عرفوا الانسان بأن الحيوان الناطق بطبعه المتحرك بإرادته

وان الأمة لما كانت عبارة عن جملة أفراد مجتمعة بروابط من المصالح المشتركة والصفات الشاملة فقد وجب ان يثبت لمجموعهم من الحق ما ثبت للفرد الواحد منهم

إذا كان العدوان على حرية شخص واحد يعد شذوذا عن قواعد العدل وفسوقا عن أوامر الله وخروجا عن حدود الانسانية وهو لم يتعد ان اضر فردا بعينه لاتتوقف عليه سعادة ولا يناط به شقاء فما بال العدوان على حرية أمة كبيرة قد تكون مؤلفة من ملايين من مثل ذلك الفرد لا يعد شذوذا عن منهج العدل ؟ بل كيف يعد ذلك من نتائج الصواب ، وحكمة أولي الالباب ، لعمري ليس هذا المذهب الا من وساوس المستبدين الذين لا يروق لهم الا الأثرة بحقوق الضعفاء ، والتلاعب بعقول الاغبياء ، وان الحكم على أمة مجتمعة بأنها غير جديرة ان تحكم نفسها بنفسها لا بعد عن الصواب من الحكم على الرجل العاقل انه غير أهل للتصرف بشؤونه الخصوصية

هل يبلغ الجهل والقصور بمجموع يستقل أفراده بشؤون أنفسهم ان يعجزوا جميعا عن تدبر شؤون مجتمعهم ؟

ان حد التمييز والرشد في الأمة هو ان تكون بحيث يتهيأ لها الاجتماع بأبسط معانيه فانها متى بلغت هذه المرتبة حكم لها بأنها بالغة رشدها قادرة على ادارة نفسها وكل جمعية بشرية فهي بالغة هذه المنزلة لا محالة ضرورة أن الانسان خلق على أن يعيش مجتمعا فهو لا ينفك عن الاجتماع والأمة المجتمعة لا تنفك ان تكون مستحقة للاستقلال بطبعها وانما تحول دون ذلك اطماع المستبدين احيانا فاذا اتفق لأمة أن صرفت همة المستبدين من رجالها عن العبث باستقلالها فقد قضي لها ان تباشر السير الى كمالها

لا يشترط في نيل الأمة حريتها واستحقاقها لذلك بطبعها ان تبلغ في اجتماعها مبلغ الامم الراقية كما لا يشترط في بلوغ الرجل رشده ان يكون كأصوب الرجال رأيا وأ كلهم رشداً لأن الرقي والرشد يقالان بالتشكيك فيكونان في بعض الاشخاص وفي بعض الأمم أرقى منها في غيرهما ولا يوجب ذلك نقصا بالمقصر عن درجة المتقدم يؤدي الى حرمانه من حقوقه الطبيعية

اذا نالت الأمة حقها في حكم نفسها انفسح لافرادها مسرح الفكر، واتسع لهم مجال العمل، ودبت فيهم حياة جديدة شعروا بها ان لارادتهم وميولهم تأثيراً في رقي مجتمعهم، فترفعت بذلك نفوسهم عن الدنايا ونهضت الى معالي الامور وانصرفت من هنا الى الشعور بأن الفوز بالمصلحة الخاصة متوقف على تأييد المصلحة العامة فاندفعوا بسائق محبة الذات الى التماس مصلحة افرادهم في ضمن مصلحة مجموعهم

ومن ثم تخرج العقول من مضايق اشخاصها الى متسع الأمة وتنصرف الافكار عن البحث في الكليات فتمرن على الاستنتاج الصحيح من المقدمات اليقينية فتستقيم الافكار وتصان الاعمال عن الخلل

ويتبع ذلك صحة في العزائم ونهوض في الهمم ومسابقة الى الاعمال الشريفة وتنافس في إصابة المفيد منها للأمة . هكذا يتسنى للامم ان ترتقي في مدارج اجتماعها مبتدئة بالفكر الصحيح ومنتقلة من ذلك الى الصالح لها الموافق لمصلحتها ثم تتدرج من هناك في مراتب الكمال مرتبة بعد مرتبة ؛ ومن أين للأمم التي ليس لها حظ من الحرية ان تنال هذه المزية ؟

اذا تقرر هذا علم ان نيل هيئة اجتماعية لحريتها يعد مهيأ لرقيها ومقدمة لتقدمها او مرتبه اولى من مراتب كمالها فاذا توقف نيل حريتها على بلوغها مرتبة القدرة التامة على ارادة شؤونها فقد كلفناها ان تأتي النهاية في البداية ، وتصل في مبدأ سيرها الى الغاية ، وهو باطل في نظر العقل ، ومحال بحكم الواقع

(يرد هنا نبوغ الأمة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين الى زمن المعتصم ورقيها وفيها من المستبدين مثل يزيد وعبد الملك والمنصور والرشيد ونبوغها ايضا في دولة بني عثمان من زمن مؤسسها الى زمن السلطان سليمان القانوني والجواب عن هذه يستغرق بحثا طويلا لا يتسع الوقت له الآن فترجئه لفرصة أخرى)

ومهما يكن الامر فلامراء في أن حرية الأمة هي مبدأ حياتها الاجتماعية وان الناهضين في كل أمة لإيصالها الى هذا الحق هم صفوة رجالها ، والنوادر من ابطالها بل هم القبيل الذين رآهم الا قدمون فحسبوا انهم متارون عن البشر فاقاموا لهم التماثيل وشيدوا لهم الهياكل وافردوهم بالعظمة والكرامة حتى وضعوهم بمصاف الالهة فلا عجب ان تحتفل الامة العثمانية اليوم بنيل حريتها وتترنم بآيات الثناء لاولئك الابطال العظام من جمعية الاتحاد والترقي فلتحي الجمعية فليحي السلطان الدستوري فليحي المنقذ الثاني للوطن محمود شوكت باشا فليحي الجيش المظفر

* * *

عيد الدستور بمصر

انشدنا محمد حافظ افندي إبراهيم لنفسه في ليلة الاحتفال بهذا الموسم في حديقة الازبكية بمصر هذه القصيدة

أجل هذه أعلامه ومواكبه   هنيئاً لهم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم   مشارقه وضاءة ومغاربه
رعى الله شعباً جمع العدل شمله   وتمت على عهد الرشاد رغائبه
تحالف في ظل الهلال إمامه   وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الاصلاح والامر مقبل   فاني أرى الاصلاح قد طرّ شاربه

وردوا على الملك الشباب الذي ذوى ... فاني رأيت الملك شابت ذوائبه
فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما ... حمته يد الفاروقي فالله طالبه
اذا شوكت الفاروق قام منادياً ... الى الحق لباه نيازي وصاحبه
ثلاثة آساد يجانبها الردى ... وإن هي لاقاها الردى لاتجانبه
يصارعها صرف المنون فتلتقي ... مخالبها فيه وتنبو مخالبه
روت قول بشار فثارت وأقسمت ... وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
« اذا الملك الجبار صعَّر خده ... مشينا اليه بالسيوف نعاتبه »
وسار على أعقابها كل سابح ... على متنه برج مشيد يداعبه
يصيح به « لاريّ » أو نبلغ المنى ... و« لاشبع » أو يُرجع الحق غاصبه
هنالك فانهل واتخذ ثم مربطا ... بيلدز واحمد في الوغى من تصاحبه
رجال من الايمان ملأى نفوسهم ... وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه
صوالجه سمر القنا وكراته ... رءوس الاعادي والحصون ملاعبه
اذا ثار دكت اجبل وتخشعت ... بحار وأمضى الله ماهو كاتبه
وثُلت عروش واستقرت ممالك ... ولو ان ذا القرنين فيها يناصبه

• • •

فمن لم يشاهد يلدزاً بعد ربها ... وقد زال عنه الملك واندك جانبه
واسلمه أحبابه لقضاته ... وفر ولم يخش المعرة كاتبه
وقلمت الاقدار اظفار بطشه ... ودل على ماتجهل الجن حاجبه
فما شهد الدنيا تزول ولا رأى ... بلاء قضاء الله في من يحاربه
ابيح حماها وانطوى مجد ربها ... وقامت على البيت الحميدي نوادبه
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه ... ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه ... دنانيره والامر بالامر حازبه
ولم يخفه عن اعين الحق مخدع ... ولا نفق في الارض جمٌّ مساربه
أقام عليه مهلكا عند مهلك ... يمر به روح الصبا فيوائبه
تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله ... فلو مسه طيف لدارت لوالبه

وأسرف في حب الحياة فخاطها ... بسور من الاهوال لم ينجُ راكبه
ففي كل قفل للمنية مكمن ... وفي كل مفتاح قضاء يراقبه
وفي كل ركن صورة لو تكلمت ... لما شك في عبد الحميد مخاطبه
تماثيل إيهام أُنيمت وأُقعدت ... تراءى بها اعطافه ومناكبه
تمثله في نومه وجلوسه ... وتخدع فيه الموت حين يقاربه
أقام عليه ألف موت محجب ... ليغلب موتاً واحداً عزَّ غالبه
سلوه أأغنت عنه في يوم خلعه ... عجائبه أو أحرزته غرائبه
وقد نزل المقدار بالأمر صادعا ... وضاقت على شيخ الملوك مذاهبه
وأخرجه من يلدزٍ رب يلدزٍ ... وجرده من سيف عثمان واهبه
وأصبح في منفاه والجيش دونه ... يغالب ذكرى ملكه وتغالبه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم ... فكل امرئ رهن بما هو كاسبه
هم منحوك اليوم ماأنت مشتهٍ ... فردّ لهم ما أنت بالأمس سالبه
ودع عنك ما أملت ان كنت حازما ... فلم يبق للآمال فضل نجاذبه
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه ... وولت أفاعيه وماتت عقاربه

* * *

لك الله يا تموز إنك بلسم ... لجرحى الأسى والدهر تعدو نوائبه
فكم رعت جبارا وأرهقت ظالما ... وانصفت مظلوما توالت مصائبه
فديناك من شهر أغرَّ محجل ... أوائله ميمونة وعواقبه
تقابله الاعياد في الأرض كلما ... تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه
ففي الغرب عيد ينظم الغربَ حسنه ... فتهتز من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله ... تدفق في دار السلاح مواكبه
يطيفون بالعرش الكريم وربه ... تطيف بهم آلاؤه ومناقبه
لتهنئ أمير المؤمنين محمداً ... خلافته فالعرش سعدٌ كواكبه
ستملك أمواج البحار سفينه ... كما ملكت شم الجبال كتائبه
ممالكه محروسةٌ وثغوره ... منصورةٌ ركائبه ومراكبه

وأرسل الينا اسماعيل بك عاصم المحامي المصري هذه القصيدة من الاستانة

عيد عز الدستور بالامن أسفر نوره للأنام الله أكبر
آلَ عثمان هاكم اليوم يوم هلل القلب فيه بِشرا وكبر
يوم عيد الحرية التي كم بتـ ـنا زماناً لبعدها نتحسرَ
كل حرية بغير حماةٍ لا يراعي زمامها من تجبر
ولهذا جاء الرشاد ليحميـ ـها فكانت لعصره خير مظهر
يا أميرا للمؤمنين وسلطا ن جميع الشعوب لافرق يذكر
كل هذي الاقوام ترجوك في تفـ ـويض مافات أنت بالعدل أقدر
انت أدرى يا صاحب الملك بالما ضي فادرك بحزمك الملك تشكر

* * *

يا رجال الوزارة الصيد هذا الـ ـوقت في هوله كيوم المحشر
دققوا في الحساب بالقسط ترتا ح البرايا فطالما الظلم كدّر
فالمليك المحبوب رأس وأنتم منه اعضاؤه به تتأثر
والكرام النواب أوردة الجسـ ـم وماء الحياة منها تفجر

* * *

آل عثمان ان سلطاننا أعـ ـظم ملك بنوره تتبصر
هو حامي الدستور حامي الرعايا حافظ العهد للعدالة أظهر
فتفانوا في حبه فهو بالاخـ ـلاص مِنّا وبالمحبة أجدر

* * *

أيها النائبون عن هذه الأمـ ـة أنتم لها العماد الأكبر
أنتمُ عارفو البلاد وحاجا ت الأهالي وما به تتعمر
أعين الناس نحوكم ناظراتٌ فاظهروا للورى بأشرف منظر
لا نريد استرداد ما راح لكن حِفظ ما عندنا فلا نتقهقر
ثُلثُ قرن مضى ونحن من الار هاق كانت أعصابنا تتخدَّر
ثلث قرن ونحن في ظلمات بعضها فوق بعضها تتكرر

فجلا تلكم الدياجيَ نورٌ من سنا قادة لجيش مظفر
أنقذونا وكادت الروح تدنو للتراقي وصائح الموت زمجر
فسجدنا لربنا وشكرنا هؤلاء الابطال والحر يَشكر
يا ليوث الوغى ويا خير من أحيا نفوساً كادت من الظلم تقبر
يا أسود الشرى ويا خيرَ من قوَّم ملكا قد كاد أن يتدمر
قد جلوتم لنا عروساً تجلت كتجلي بدر السماء وأزهر
وهي حُريةٌ اضاءت ودستو رٌ بحفظ الحقوق في الملك بشر
فعليك السلام ياشوكتٌ منّـا تليه تحية تتعطر
انت ادركت ذي الخيانة فانقضيت حتى ظفرت والملكُ عمر
وعلى الفرقدين ازكى سلام بطلي تركيا نيازي وأنور
لا تقولوا قد راحَ مدحتُ عنا كلكم مدحتٌ اذا ما تدبَّر
فاتركوا ما مضى وجدوا لما يأتي بحزم النهى وعزم الغضنفر
واستعينوا بالحق دوماً ومبعو ثانكم فالنجاح في ذاك اكثر
خير ما ينفع الشعوب ثباتٌ واتحاد بعزمه تتحرّر
فهنيأً يا آل عثمان هذا يوم عيد للناس عيدٌ مُكبر
دام سلطاننا ونوابنا والجيش والشعب في الهناء الأوفر

***

هذه غادةٌ من النيل وافت بسناها وَدَلها تتبختر
غادة زانها حليُّ المعاني ومن اللفظ عقد دُرّ وجوهر
أقبلت في بشائر أرختها عيدُ عزّ الدستور بالأمن أسفر
سنة ١٣٢٧ ٨٤ ٧٧ ٧٠١ ١٢٤ ٣٤١

ضاق هذا الجزء عن باب الفتاوى وفيه بيان معنى كون الدستور موافقاللشرع وغير ذلك من المسائل فأرجأناه الى الجزء الآتي

باب الأخبار والآراء

الهرج والقتل في أطنه

أشرنا في آخر الجزء الثالث الى هذه الحوادث وكانت في بدايتها وقلنا انه لا ثقة بإخبار شركة روتر ان الترك هنالك تصدوا لذبح الأرمن عدوانا. ثم ان الجرائد في الاستانة وسورية ومصر جاءت بتفصيل لتلك الحوادث جاء في بعضها ان الأرمن كانت هي المضرمة لنار الفتنة وأن مبدأ ذلك تمثيل الأرمن لقصة سياسية في أدنه يصفون فيها ظلم الترك لهم وقيام ملك منهم ينقذهم من ظلمهم ويقيم لهم دولة جديدة . ثم إنهم لم يكتفوا بهذا بل طفقوا يستحضرون السلاح الجديد فتنكر لهم المسلمون إلى ان انفجر البركان ، وفاض الطوفان ، واقتتل الفريقان ، وروي أن أول واقعة من وقائع الاعتداء كانت من الأرمن . ومن الناس من لا يصدق هذه الروايات بل يرجح ان المسلمين هم المعتدون ، ومنهم من يقول ويكتب غير ما يعتقد وللهوى سلطان على القلب وعلى القلم واللسان . ومن رأينا ان يرجأ الحكم في الاسباب والمبادي الى ان يتم تحقيق الحكومة في ذلك وينشر رسميا

مهما كانت الاسباب والمبادي ، وايًّا ما كان المعتدي والبادي ، فلا شك في كون الفريقين قد عملا مالا يبيحه الدين الذي ينتسبان اليه ، ولا يتفق مع مصلحة الوطن الذي يقيمان فيه ، فقد هدمت الدور ، وأحرقت الاسواق ، وقتل النساء والاطفال ، وحملت الامة عبئاً من العار ، ولحق الحكومة ما لحقها من الخسار ، وتألمت الانسانية الفاضلة في جميع الاقطار

قد أكثر أهل الاهواء وافرط مقلدة التفرنج من القول بأن سبب ذلك هو التعصب الديني ولو كان مازعموا لما كان الهرج بين الترك والارمن دون سائر المسلمين والنصارى فقد ثبت ان أبناء العرب هناك كانوا يحمون الأرمن ويواسونهم

وأن الأرمن لم يعتدوا على غير الترك والترك لم يعتدوا على غيرهم فالمسألة اذا أثر من آثار الاحقاد الجنسية ومن جعل سببها التعصب الديني فهو ان لم يكن جاهلا متعصب او منافق يتزلف للمتفرنجين، وان ادعى انه من الاحرار او المسلمين،

دعا بعض فضلاء العثمانيين الناس الى الاجتماع في حديقة الازبكية لسماع الخطب والقصائد في شكوى الانسانية من ذبح أبنائها بعضهم لبعض والحث على مواساة المنكوبين وإعانة اليتامى والارامل من الفريقين — المسلمين والارمن — فلبى الدعوة جماهير أهل الخير من جميع الطوائف ماعدا الارمن . وخطب صاحب هذه المجلة — على انه كان مريضا والحر شديدا — خطبة ارتجالية بناها على بيان التفاوت العظيم بين الانسانية الراقية والانسانية السافلة التي يكون أصحابها شرا من الوحوش الضارية والحشرات السامة، وكون هذا الاجتماع احتجاجا من أهل الاولى على أهل الثانية وارشاداً وتعليما. و بينت فيها مشروعية البر والاحسان في الاسلام بجميع البشر مؤمنهم وكافرهم بل بجميع الاحياء « في كل كبد حرى أجر » ورمى بعض الخطباء الى كون المسلمين هم المعتدين الباغين باسم الاسلام فرددت عليه بلطف وقلت ان المقام مقام استعطاف لا محاكمة ولا تاريخ وان التحقيق الرسمي سيظهر الحقيقة ان المسألة جنسية لا دينية

ذلك ما كتبناه للجزء الماضي من المنار فلم يتسع له ثم قرأنا في جريدة لسان الحال البيروتية المؤرخة في ١٥ الشهر (رجب) ملخص تقرير المجلس العرفي فنحن ننشره بنص هذه الجريدة وهو   * * *

﴿ تقرير المجلس العرفي في أطنه ﴾

وضع المجلس العرفي في أطنه تقريراً مفصلا بحوادث اطنه ولكن جرائد دار السعادة العلية لم تنشر الا خلاصة منه وهو يذكر ان الحوادث التي جرت هناك انما يصعد تاريخها الى أيام بحري باشا الوالي الذي كان قبل جواد باشا فانه ظلم الناس ظلماً فاحشاً وأوقع بهم خسفاً وجوراً وهم لايبدون ولا يعيدون بل كانوا كالموتى لايتحركون ولا يشكون وكان رجال الوالي كثيرين وهم ينتفعون من توسيع نطاق تلك الاختلالات ويتمنون الى الله ان تدوم لان اكثر تلك المظالم التي تشمئز منها

النفوس الابية كانت واقعة على الارمن وكان هؤلاء بها راضين صابرين حتى يمن الله بالفرج ولما ثقلت الوطأة وشعروا بشدة الشكيمة فضلوا الموت على الحياة ولكن الذين كانوا يعللون النفوس بأمل الانفصال في الاستقبال كانوا يسكنون روعهم ويحضونهم على الصبر وقد أتوا بكثيرين من هؤلاء المظلومين من انحاء الولاية وأقاموهم في مركز الولاية وقالوا ان هذا المركز يعتبر ثغرا بحريا وقد استجلبوا اليه كثيرا من الاسلحة لاسيما بعد اعلان الدستور فانها كانت ترد اليهم من بيروت كميات عظيمة بالسفن والبواخر وكانت توزع عليهم في اطنه وضواحيها حتى زادوا طمعا بالانفصال عن الحكومة

و بعد اعلان الدستور كان المسلمون يتقربون من جميع ابناء الطوائف ويظهرون لهم المودة والمسالمة ولكنهم ماكانوا يخفون احتقارهم للجمعيات الارمنية الموجودة في البلاد لاعتقادهم بان اعضاءها يسعون في الانفصال والاستقلال وقد زادهم ثقة بذلك كونهم رأوهم يقيمون الشعب والفروع لجمعياتهم في كل الجهات ولا ننكران الحكومة أظهرت ضعفا شديدا في كل الاحوال التي مرت بالبلاد فانها لم تسع في قمع الفتن ولا في اخماد المشاغب حتى انه بلغ مسامعها ان الارمن يسعون سعيا متواصلا في الوصول الى الاستقلال الاداري وان رفاقهم في اوربا يكاتبونهم بذلك ولكن الحكومة لم تلتفت الى هذه المسألة واعتبرتها كانها لم تكن

وقد اتصل بالحكومة ان الجمعيات الارمنية وزعت رسوما وجرائد وشارات مخصوصة على الارمن وجعلت لكل منهم علامة فارقة يعرف بها ومع ذلك فانها لم تهتم للامر ولا سعت في ايقاف تياره حتى ان المطران موشاخ الذي هرب كانت له يد سوداء في كل هذه الاعمال المغايرة وما زال الامر يزداد استفحالا ونطاق الخلاف يزداد اتساعا بين المسلمين والارمن حتى صارت الحوادث تتوالى من مدة الى أخرى وكثيرا ما كانت تتفاقم وتتجسم حتى امتلأت القلوب بالضغائن ووقع ماوقع بين الفريقين من أسباب القتال الذي قضى بذهاب الانفس ووقائع الحرق والنهب وغيرها(١) وكانت الحكومة تنظر الى هذه الاحوال بعين لا يخامرها كلل وفكر لا يعتريه

(١) حذفنا من هذا الموضع كلاما في (احسان فكري) صاحب جريدة اعتدال وما كان من ارتكابه ومكايدته للوالي وما في ذلك من ضعف الحكومة الماضية

وجل ولا حسبان لشيء وكان الخطب يتفاقم ويتعاظم بين المسلمين والارمن وفي كل يوم يطلق الرصاص هنا وهنـاك من الفريقين والحكومة لا تكترث له حتى جنت بذلك جناية لا تغتفر ولما قبضت على بعض المشاغبين من الارمن توسط البعض في أمرهم فتركتهم وشأنهم اما المسلمون فابقتهم في الحبس فكثرت اذ ذاك الاشاعات وترا كمت المخاوف والترهات فراج السلاح رواجا عظيما وكان تجاره و باعته ينذرون الفريقين بقرب اشتباك القتال وان الواقعة ستكون عظيمة يتخللها مذابح هائلة حتى بلغ ما دخل اطنه من الاسلحة بطريق بيروت واسكندرونه ومرسين ا كثر من ١٣ الف بندقية عدا البنادق والمسدسات وغيرها مما لم يعلم به أحد. واتفق ان قتل رجل من الارمن مسلما فتعقبته الحكومة ولكن الارمن خبأوه واخفوه عنها ولما اقروا به قالوا انهم لا يسلمونه ما لم تقتص الحكومة من مسلم ادعوا عليه بكونه كان قتل ارمنيا

وفي ١٣ نيسان اطلق رجل اسمه محمود طلقا ناريا في محلة من البلدة فقبضت عليه الضابطة ولكن اجتمع ا كثر من خمسمائة نفس من المسلمين وانقذوه منها بحجة انها لم تقبض على الارمن الذين اطلقوا النار وليس ذلك فقط بل انهم اجتمعوا ثاني يوم مع رفاقهم وحضروا الى السراي و بالاتفاق مع مدير البوليس اطلقوا سراح كل اخوانهم المحابيس ومنذ ذلك اليوم أخذ المسلمون يطوفون في المدينة شا كي السلاح ويبدون مظاهرات تدل على انهم لا يعبأون بالحكومة ولا يأتمرون بامرها وفي اثناء ذلك قتل ارمني مسلما فعارضه المسلمون فخرج الارمن عليهم متحمسين شا كي السلاح حتى ملأوا الشوارع والطرقات فاستدعت الحكومة رجال الرديف فحضروا وطافوا في الاسواق بملابسهم المدنية فكانوا كسائر الاهالي لا فرق بينهم في اللباس فقام عليهم الارمن ولكنهم اشاعوا فيما بينهم ان الحكومة هدرت لهم دماء الارمن ورخصت لهم بالفتك بهم وعند ذلك هجموا على المستودعات العسكرية واخذوا الاسلحة وما يلزمهم من الذخيرة وفعلوا ما فعلوه مما اوجب على اعضاء ديوان الحرب ان ينكروه ويذرفوا من اجله الدموع ولما حمي الوطيس أخذ رجال الحكومة يفوزون بانفسهم فهربوا وتواروا عن العيان ثم سجن عدد كبير من الارمن ولما عقد الديوان الحربي حكم على ١٥ نفسا من الارمن والمسلمين بالاعدام

فاعدموا ويوجد الآن من ٧٠٠ الى ٨٠٠ نفس كلهم مجرمون مذنبون كالذين شنقوا واذا أردنا محاكمة كل الذين دخلوا في هذه الحوادث كان هناك من ١٠ الى ١٥ ألف نفس واذا كان لا بد من عقاب كل الذين ارتكبوا المخالفات والجرائم كان لا بد من عقاب كل سكان الولاية

وقد طلب في ذلك التقرير العفو عن مرتكبي الجرائم والصفح عما مضى اه

(المنار) ذكر اللسان بعد هذا ان بطرك الارمن اعترض على هذا التقرير وزيف اكثر كلامه . وقد ذكر مثل هذا في بعض جرائد مصر . وانا لنعلم أكثر من ذلك نعلم ان الارمن اجتمعوا في الكنيسة في الاستانة فحثهم البطرك على الثبات على طلب الاستقلال وقرروا هناك وفي كل مكان عدم مشاركة العثمانيين بالاحتفال بعيد الدستور ولا تزال جمعية الاستقلال الارمني العليا في الروسية مجدة في عملها وساسة الروس يغرونها وسيكشف لهم الزمان ان اتحادهم بالعثمانيين خير لهم وأبقى

﴿ فقيد العلم والصحافة الشيخ حسين الجسر ﴾

نعت الينا جرائد طرابلس الشام وبيروت عالم الديار السورية بل أحد أفراد علماء المسلمين في هذا العصر، استاذنا الشيخ حسين افندي الجسر، صاحب الرسالة الحميدية التي طار بها ذكره في الاقطار، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت أرجأنا ترجمته الى الجزء الثامن سائلين الله عز وجل أن يحسن عزاء أنجاله وعزاء الوطن عنه، وان يتغمده برحمته ورضوانه، آمين

﴿ الدستور في فارس ﴾

ثبت الشعب الفارسي في محاربة الاستبداد كما ثبت الشاه الجاهل محمد علي على رفض الدستور حتى نصر الله الحق على الباطل فدخل المجاهدون طهران فاتحين وخلعوا الشاه وجعلوا ولده وولي عهده مكانه وهو ابن إحدى عشرة ولذلك جعلوا له نائباً من كبار رجال الدولة